

حَقِيقَةُ مَعْتَقِدِ ابْنِ سِينَا

(٣٧٠ - ٤٢٨ هـ)

وموقفه من أنواع التوحيد الثلاثة

وبذيله قاموس موجز لمعاني أشهر المصطلحات
الكلامية التي يرددها ابن سينا في مصنفاته

تأليف

أبي عبد الملك أحمد بن مسفر بن معجب العتيبي

١٤٢١ هـ

الرسالة الأضحوية

حقيقة معتقد ابن سينا

(٣٧٠ - ٤٢٨ هـ)

وموقفه من أنواع التوحيد الثلاثة

وبذيله قاموس موجز لعاني أشهر المصطلحات
الكلامية التي يرددها ابن سينا في مصنفاته

تأليف

أبي عبد الملك أحمد بن مسفر بن معجب العتيبي

١٤٢١ هـ

ح) أحمد مسفر العتيبي ، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العتيبي ، أحمد مسفر

حقيقة معتقد ابن سيناء . - الرياض.

١٠٤ ص ، ٢٤×١٧ سم

ردمك : ٩٩٦٠-٧١٥-٠٨-٦

١- العقيدة الإسلامية - دفع مطاعن ٢- ابن سيناء ،

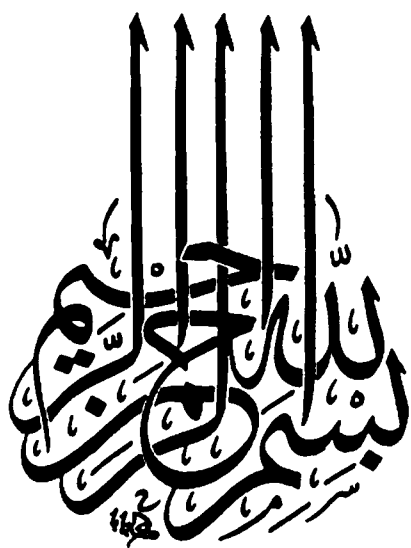
الحسين بن عبدالله ، ت ٤٢٨هـ أ-العنوان

٢١/٤٣٦٣

ديوي ٢٤٠

رقم الايداع : ٢١/٤٣٦٣

ردمك : ٩٩٦٠-٧١٥-٠٨-٦



﴿ كلمة حق ﴾

* — " وخطر لي الاشتغال بعلم الطب ، فاشتريت كتاب (القانون) ((لابن سينا)) فعزمت على الاشتغال فيه ، ففكرت في أمري ، فأظلم عليّ قلبي ، وبقيت أياماً لا أقدر على الاشتغال بشيء ، ففكرت في أمري ، ومن أين دخل عليّ الداخل ، فألهمني الله تعالى أن سببه اشتغالي بالطب ، فبعثت في الحال الكتاب المذكور ، وأخرجت من بيتي كل ما يتعلّق بعلم الطب ، فاستنار قلبي ورجع إليّ حالي ، وعدت إلى ما كنت عليه أولاً " (١)

(النووي (ت : ٦٧٦هـ)

(تحفة الطالبين ص ٥٢) .

* " وقد اتفق العلماء على أن ابن سينا كان يقول بقدم العالم ، ونفي المعاد الجسماني ، ولا ينكر المعاد النفساني ، ونقل عنه أنه قال : إن الله لا يعلم الجزئيات بعلم جزئي ، بل بعلم كلي ، فقطع علماء زمانه ومن بعدهم من الأئمة ممن يعتبر قولهم أصولاً وفروعاً بكفره وبكفر أبي نصر الفارابي من أجل اعتقاد هذه المسائل ، وأنها خلاف اعتقاد المسلمين " .

(ابن حجر (ت : ٨٥٢هـ)

(لسان الميزان ٣٥٩/٢ نقلاً عن ابن أبي الحموي)

(١) لا يفهم من كلام النووي — قطعاً — أن تعلم الطب مذموم ، إذا المذموم خلط الطب بالمصطلحات الفلسفية والكلامية التي ربما أفسدت المعتقد وشابت الإيمان الصادق ، أنظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٢ / ٨٤-٨٧ ونيليس إيليس ٩٠ ، وإغالة النهفان ٢٥٠ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿المقدمة﴾

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾

(آل عمران: ١٠٢)

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تسألون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾
(النساء : ١)

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ (الأحزاب : ٧٠ - ٧١) .
أما بعد :

فإن الدين الإسلامي ما فتى — منذ نشأته الأولى — يواجه أخطاراً جسيمة ، ومصائب عظيمة ، وأقلاماً مسمومة ترقم الباطل في هيئة الحق ولونه وجنسه ، تكابد المشاق وتنازع الأهوال وتتسمن نرى الغواية لتتفت سموم الحقد والزيف في صفحات الإسلام الناصعة .

وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم أمته مما يخدش عقيدة الإسلام ، ويحجب نور الوحي ويهدي السنة النبوية ، ويكون سبباً في ضياع طاقاتها وثرواتها .
فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن أخوف ما أخاف على أمتي ، كل منافق عليم اللسان " (١) .

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يكون في آخر الزمان دجالون كذابون ، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فيآاكم وإياهم ، لا يضلونكم ولا يفتنونكم " (٢) .

(١) أخرجه أحمد في مسنده بسند صحيح من حديث عمر — رضي الله عنه —

(٢) أخرجه مسلم ١٢٠/٢ وأحمد ٢٣٠/٤ .

وإذا كان الله تبارك وتعالى قد تعهد بحفظ دينه ونصره بقوله : ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ﴾ (المجادلة : ٢١)

ويقوله : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (الحجر : ٩) فليس معنى هذا أن يظل المسلم فاغراً فاه أمام التحديات العقيدية والشرعية ، ولا يحرك ساكناً في دفعها ودحرها أو حتى معرفتها وكيفية القضاء عليها . والقاعدة الأصولية تقول :
(درء المفسد أولى من جلب المنافع) ^(١) .

إن " الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا : (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ) علم من أعلام يزعم أنهم ينتمون إلى الإسلام نسباً وعقيدة ، فهو قد ولد في بيئة إسلامية ، ومن سلالة لا أحسبها مسلمة مؤمنة - وابرأ إلى الله من كل نسمة كافرة زاوجتها بدين الله الحنيف - وتلقف علومه ومعارفه وفوائده من أشياخ الإلحاد ورؤوس الزنادقة المكذبين بالله ودينه ورسله عليهم الصلاة والسلام .
" وابن سينا تكلم في أشياء من الإلهيات والنبوات والمعاد والشرائع ، لم يتكلم فيها سلفه ، ولا وصلت إليها عقولهم ولا بلغت علومهم ، فإنه استفادها من المسلمين ، وإن كان إنما أخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية . وكان هو وأهل بيته وأتباعهم معروفين عند المسلمين بالإلحاد ، وأحسن ما يظهرون دين الرفض وهم في الباطن يبطنون الكفر المحض " ^(٢) .

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - في " النونية " الدامغة لرؤوس الكفر :

وأتى ابن سينا بعد ذا بطريقة	أخرى ولم يأنف من الكفران
قال المراد حقائق الألفاظ تخيلاً	وتقريباً إلى الأذهان
عجزت عن الإدراك للمعقول إلا	في مثال الحس كالصبيان
كي يبرز المعقول في صور من المحسوس	مقبولاً لدى الأذهان ^(٣)

^(١) انظر : شرح القواعد الفقهية (ص ٢٠٥).

^(٢) مجموع فتاوي ابن تيمية ١٣٣/٩ - ١٤٣ .

^(٣) الفصيدة النونية ٣٠١/١ .

ومعنى الأبيات أن ابن سينا ابتدع طريقة في التأويل فقال إن المراد بالألفاظ حقائقها ، لكن على سبيل التخيل تقريبا إلى الأذهان ، فإن عقول العامة تعجز عن إدراك هذه المعاني العقلية لشدة اتصالها بالمحسوسات ، فإذا أبرزت لها هذه المعقولات في صورة الأمور المحسوسة كانت مقبولة لديها . وقال إن تسلط التأويل على هذه النصوص يبطل ما قصد إليه الشارع من جعلها مثالا للحقائق تقربها من الأذهان ، فهو جناية يا لمرتكبها من جان (١) .

والقصد من هذا كله أن نصوص الصفات في الكتب السماوية والأحاديث النبوية لم يقصد بها بزعمه الاعتقاد بما جاءت به ، وأن الرسل لم يخبروا عن الله بما يطابق الواقع ، بل هذه النصوص إنما جاءت لإقناع الجمهور العوام لاستدراجهم لمصلحة دعوتهم إلى الحق — وهو التنزيه — استدراجا ورويدا ، ولو جاءت النصوص صريحة دفعة واحدة في بيان حقيقة التوحيد والتنزيه — من أن الله لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا فوق ولا تحت — لبادروا إلى العناد وسارعوا إلى الإنكار (٢) . واستمع إليه وهو يمهد لنفي صفات الله تعالى ، قال :

" أما الشرع فينبغي أن يعلم فيه قانون واحد ، وهو : أن الشرع والملل الآتية على لسان نبي من الأنبياء يرام بها خطاب الجمهور كافة ، ثم من المعلوم الواضح أن التحقيق الذي ينبغي أن يرجع إليه في صحة التوحيد ، من الإقرار بالصانع موحدا مقدسا عن " الكم : و " الكيف " و " الالين " و " المتى " و " الوضع " و " التغيير " حتى يصير الاعتقاد به أنه ذات واحدة لا يمكن أن يكون لها شريك في النوع ، أو يكون لها جزء وجودي ، كمي أو معنوي (٣) ولا يمكن أن تكون خارجة عن العالم ، أو داخلية فيه . ولا بحيث تصح الإشارة إليه أنه هناك ، ممتنع إلقاؤه إلى الجمهور الخ " (٤) .

(١) شرح التوبة ١ / ٣٠١

(٢) الماتريدي ٢ / ٧٠

(٣) برمي ابن سينا إلى نفي الصفات الثبوتية ، لأنه يلزم منها التركيب عنده ، وبإني توحيد المعطلة وتزويجهم — الذي هو عين التعطيل والتشبيه —

فيكون الله تعالى معلوماً محضاً بل ممتعاً بمتناً ! .

(٤) الرسالة الأصحوية لابن سينا (ص ٤٤ وما بعدها) .

قلت : لقد سلخ ابن سينا شبابه في التجني على الإسلام وأحكامه وعقائده ، وضارع أئمة الغواية الذين نهل من موردتهم كالفارابي وأرسطو وأفلاطون وسقراط وفيثاغورس وغيرهم من الأوباش الذين شوّهوا هامة الملة وعكّروا صفاء العقيدة ، وإلى الله المشتكى .

ولما أحكم ابن سينا طريقته في السير على منهاج سلفه ، تفرّغ لبثّ سموه عبر ثلاث وسائل :

الأولى : صحائفه التي خطّها بيمينه أو شماله في " نجاته " و " اشاراته " و " تنبيهاته " و " قانونه " وغيرها من رسائله ومسودّاته .

الثانية : ولايته التي سخرها — عندما كان وزيراً — لاستجلاب البسطاء وضعاف العقيدة ، وأهل الأهواء الذين يهرعون وراء كل ناعق^(١) .

الثالثة : تلاميذه ومريدوه الذين أرضعهم من لبنانه ، وأطعمهم من فاكهته لينشروا بعده عقيدته وفكره وكفره .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين ﴾ (المائدة : ٦٤) .

وقال سبحانه : ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون ﴾ (النحل : ٨٨) .

لقد استطاع ابن سينا خلال نصف قرن أمضاها من عمره أن يؤثّر تأثيراً عظيماً في بيئته ومحيطه ، وأن ينقل فكره وآراءه لمن بعده من أجيال وقرون تتلقّف كل غريب وشادّ لتتلهى به في عقيدتها ودينها مهما كلّفها ذلك من ثمن . فلقلب صاحبنا بـ (الشيخ) و (الرئيس)^(٢) و (فيلسوف الإسلام)^(٣) .

وهذه الأخيرة عبارة دخيلة على ثقافتنا وديننا — فليس بيننا فلاسفة يفسطون الحقائق ويخلقون بأفراد الأمة في سراب يحسبه الضمآن ماء . ولكن علماء ربانيين كان منهم

(١) سيأتي زيادة توضيح هاتين الوصلتين في نهاية الكتاب إن شاء الله تعالى .

(٢) الشيخ معاذ (الأستاذ) والرئيس : لقب لزمه لتولية الوزارة . أنظر مجلة العلوم الاجتماعية (ع ٥٠٠) سنة ١٤٠١هـ ص ٦٦ .

(٣) وظهر أخيراً في بعض كتابات المتفلسفة مصطلح (السبوية) وهو الاعتقاد أن لابن سينا فلسفة خاصة به ، أو مذهباً فلسفياً متميزاً عن

الفلسفة السائدة في عصره . وهذه الفلسفة تقابل فلسفة المشائين . انظر : دراسات مغربية لمحمد الجابري (ص ٨٣) .

شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) — رحمه الله تعالى — الذي قال عن ابن سينا وأمثاله : " هل وجد في العالم أمة أجهل وأضلّ وأبعد عن العقل والعلم من أمة يكون رؤوسها فلاسفة ؟ أو لم تكن أمتكم اليونان — كأرسطو وأمثاله — مشركين يعبدون الأوثان ، ويشركون بالرحمن ، ويقربون أنواع القرابين لذرية الشيطان .. ثم يقال له (أي ابن سينا) : أنت وأمثالك أئمة اتباعكم ، وهذا قولك وقول أرسطو وأمثالك من أئمة الفلاسفة في : " واجب الوجود " وصفاته وأفعاله — مع دعوكم نهاية التوحيد والتحقيق والعرفان — قول لا يقوله إلا من هو أجهل الناس وأضلّهم وأشبههم بالبهائم من الحيوان ... " (١) .

ومنهم ابن القيم (٧٥١هـ) — رحمه الله تعالى — الذي لخص عقيدة ابن سينا قللاً : " ... فالرجل معطل ، مشرك ، جاحد للنبوات والمعاد ، لا مبدأ عنده ، ولا معاد ، ولا رسول ولا كتاب " (٢) .

ومن العلماء الربانيين ابن كثير (٧٧٤هـ) — رحمه الله تعالى — القائل في ابن سينا : " قد حصر الغزالي كلامه في " مقاصد الفلاسفة " ثم ردّ عليه في " تهافت الفلاسفة " في عشرين مجلساً له ، وكفره في ثلاث منها ، وهي : قوله بقدم العالم ، وعدم المعاد الجثماتي ، وأن الله لا يعلم الجزئيات ، وبدّعه في البواقي " (٣) .
والذهبي (٧٤٨هـ) — رحمه الله تعالى — القائل : ((ما أعلمه روى شيئاً من العلم ، ولو روى لما حلت الرواية عنه ، لأنه فلسفي النحلة ضال)) (٤) . وغير أولئك من زمرة العلماء العاملين المنافحين عن دين الله تعالى وشرعه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . الذين لا يرضون أن يقدح في شرع الله وفي أنبياء الله — عليهم الصلاة والسلام — بحرف واحد ! فرضي الله عنهم ورحم مثواهم ونور تلك الرموس التي تضمّ عظامهم ، وحشرنا معهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

(١) درء التعارض ٦٤/٥ — ٦٥ و٧٧/٦ وفيه فوائد بحسن الوفوف عليها .

(٢) اعانة اللهفان (ص ٦٢٠) .

(٣) البداية ٤٦/١٢ .

(٤) ميزان الاعتدال ١/٣٩٩ .

ومع موجة التغريب التي ذاعت في كل صقع من أصقاع المعمورة ، شدا كثير من
ضعاف الإيمان بعلم ابن سينا وأضفوا عليه هالة من الإعجاب والتقديس ، وعدّوه من
علماء الملة وفلاسفة الإسلام !

هكذا زعموا !!

كانهم من بعد أفهامهم لم يخرجوا بعد إلى العالم
يضحك إبليس سرورا بهم لأنهم عار على آدم !! (١)

وهذا الكتاب الذي اقدمه للقارئ المسلم ما هو إلا جهد متواضع ، حرصت
من ورائه أن يسهم إلى حدّ ما في ملء فراغ في المكتبة الإسلامية ، التي تكاد تخلو
من كتاب يعرض بإنصاف عقيدة ابن سينا بعيداً عن التثرثرات الثقافية والأقلام
المستأجرة التي تخدم الاستشراق وأذنا به .

وقد تعمّدت أن اقدم في هذا الكتاب الجواهر واللباب ، مبتعداً عن الإسهاب المملّ
والإيجاز المخلّ ما استطعت إلى ذلك سبيلاً .

وآمل من كل من وقف على هذه الصفحات أن لا أعدم منه دعوة صالحة تتفعني في
دنياي وأخراي ..

اللهم وفقني لخدمة دينك والعمل بكتابك وسنة رسولك صلى الله عليه وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ،

" المؤلف "

* عقيدتهم في النبوة :

- ١ — النبوة مكتسبة ليست هبة من الله سبحانه وتعالى — لأحد من خلقه . فالإنسان — عندهم — يستطيع أن يصبح نبياً بعد الارتياض والمجاهدة .
- ٢ — النبي شخص فاضت عليه من السابق بواسطة : التالي قوة قدسية صافيه ^(١) .
- ٣ — العقل — عندهم — هو منزل الوحي إلى الأنبياء ، وعليه فهم يزعمون أن الوحي ما قبلته نفس الرسول من العقل ، وقبله العقل من أمر باريه .

* عقيدتهم في الإمامة :

- ١ — الإمامة استمرار وتكملة للنبوة .
- ٢ — الأئمة معصومون ، ويصلون إلى مرتبة الألوهية .
- ٣ — الإمام — عندهم — هو (العقل الأول ^(٢)) أي : الخالق .
- ٤ — الأئمة يعرفون الظاهر والباطن ، ولا يشاركونهم في هذا أحد .
- ٥ — يجب السجود بين أيدي أئمتهم تعظيماً لهم .

* عقيدتهم في الغيبيات :

- ١ — آم وحواء — عليهما السلام — ليسا أصلاً للنوع البشري عند الإسماعيلية ، وأرجعوا ذلك إلى تفاعل الأرض مع الكواكب والأفلاك ^(٣) .
 - ٢ — يوم القيامة — عندهم — قيام النفوس الجزئية المفارقة للمدركات الحسية والآلات الجسدية .
- والقيامة نوعان :**

- صغرى : وهي مفارقة الجسد بعد الموت .
- كبرى : وهي أن تفارق كل النفوس الجزئية الموجودة في عالم الكون والفساد أجسادها . وتعود النفس الكلية إلى مبدعها وخالقها .

(١) يأتي تعريف (البيض) في ثنايا هذه الرسالة — إن شاء الله تعالى — وأنظر القاموس في آخر الرسالة .

(٢) إنظر تعريف (العقل الأول) في القاموس الملحق بآخر الرسالة .

(٣) وهذا معناه انكار خلق الله تعالى للنوع البشري ، نعوذ بالله من الكفر والإلحاد !! .

المبحث الأول

﴿ الحالة الدينية والسياسية في عصره ﴾

أ - الحالة الدينية :

عاش ابن سينا في الفترة الواقعة بين (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ) وهي ثمانية وخمسون عاماً ، شهد خلالها كثيراً من الأفكار العقديّة ، والتصورات الدينية المختلفة ، وعاصر ابن سينا في هذه الفترة كثيراً من الفرق والطوائف والجماعات والملل والنحل التي تحتضن العديد من المعتقدات والتي يدافع أصحابها عنها بكل ما أوتوا من قوة وبأس .

ويمكن إيضاح ذلك في النقاط الآتية :

أولاً : الإسماعيليون ^(١) :

فرقة من غلاة الشيعة ، ومن الحركات الباطنية الخطيرة ، سُميت بهذا الأسم لأنها وقفت سلسلة الإمامة عند " إسماعيل بن جعفر الصادق " (١٤٣ هـ) ^(٢) . نشأ هذا المذهب في العراق واضطهد كما اضطهد غيره من المذاهب الشيعية ، لذلك فرّ المنتمون إليه إلى بلاد فارس وخراسان والهند وتركستان . وللإسماعيلية علاقة قوية بالمذاهب والديانات القديمة كاليهودية والنصرانية ، ومذاهب الفرس والمجوس والفلسفات اليونانية ^(٣) .

* عقيدتهم في الألوهية :

- ١ - نفي الأسماء والصفات .
- ٢ - تعطيل الله عن كل وصف وتجريده من كل حقيقة .
- ٣ - زعموا أن الله لم يخلق الخلق ، وأن الذي يرزقهم ويدبّر شؤونهم هو (العقل الأول)

(١) للاستزادة من معرفة عقائد الإسماعيلية ، أنظر : الإسماعيلية لإحسان إلهي ظهير . والإسماعيلية المعاصرة محمد الخوير .

(٢) اختلف المؤرخون في وفاته ، هل هي قبل أبيه أم بعده .

(٣) لمعرفة علاقة الإسماعيلية بالمذاهب والديانات القديمة ، أنظر : تاريخ الفكر العربي لعمر فروخ ص ١٤٣ . ومذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن

بدوي ١١/٢ - ١٢ . ونشأة الفكر الفلسفي للشارح ١٠٣/١ .

- ٣ - القبر - عندهم - هو الصورة الجسمانية والهيكل الجرمانية ، وعذاب القبر هو تأثير النفوس بسبب ما يظهر عليها من الصور الهولائية المخالفة للطباع .
- ٤ - منكر ونكير - عندهم - استيلاء القوة الشهوانية والغضبية .
- ٥ - الحشر عندهم - انحطاط النفوس في سلك انقيادها وانحيازها إلى ما فيه ذاتها .
- ٦ - النشر - عندهم - ظهور النفس في عالم بعد عالمهم على وفق مكتسباتها .
- ٧ - الحساب - عندهم - أن توقف النفس الكلية النفوس الجزئية على ما صدر منها من الأقوال والأفعال والأعمال .
- ٨ - الصراط - عندهم - البرزخ ومعبّر النفس إلى العالم الأعلى من الأدنى .
- ٩ - الجنة - عندهم - هي العوالم الثمانية : جنة الميراث وهي رتبة الإنسانية ، وجنة عدن وهي الرتبة الملكية ، وجنة الخلد ، وهي العوالم الفلكية ، والجنة العالية وهي العوالم الروحانية ، وجنة الفردوس ، وهي النفسانية ، وجنة النعيم وهي عالم العلم ، وجنة رضوان ، وهي عالم العقل ، وجنة الماء ، وهي عالم الأمر .
- ١٠ - أما النار فهي العوالم السبعة المتولدة من الثلاثة الأركان : أولها لظى نزاعة وهي كرة الأثير ، ثم الجحيم مركز الهواء والزمهرير ، ثم السعير مقر الماء ، ثم الهاوية مكان الغيرة ، ثم جهنم عالم الحيوان ، ثم سقر مرتبة النبات ، ثم سجين منزلة المعدن .
- ١١ - البعث - عندهم - مهزأة !! .
- ١٢ - العقاب والعذاب يؤولونه إلى ما تجده النفوس من الآلام والأوجاع والأسقام ومفارقة المؤلفات بهجوم الحوادث والنكبات^(١)

(١) طائفة الإسماعيلية لمحمد كامل حسين . وتاريخ الدعوة الإسماعيلية لمصطفى غالب . والخفايا الخفية عن الشيعة الفاطمية لمحمد الأعظمي .

وفضائح الباطنية للفرالي .

قلت : والإسماعيلية اليوم حضور ووجود وتفاعل مع واقع العالم ، ولهم تنظيمات وعططات حاكمة للقضاء على جنود الإسلام وأصوله . أنظر مثلاً

: مجلة روزاليوسف (عدد ٣٣٦٩ سنة ١٤١٤هـ) وتأمل .

والإسماعيلية يقولون بالتناسخ وتأويل نصوص الشريعة ، وأن للقرآن معاني غير معانيه التي فهمها الناس ، وهم يستون الصحابة ويرمونهم بالألقاب القبيحة ، ويتأولون الحلال والحرام وغيرها من أركان الإسلام ، ويقولون بوحدة الأديان وأنها جميعاً متساوية .

وقد لقب ابن سينا في بعض التراجم — بالإسماعيلي الباطني : يقول الذهبي رحمه الله : " كان أبوه كاتباً من دعاة الإسماعيلية ، فقال : كان أبي تولى التصرف بقرية كبيرة ، ثم نزل بخارى ، فقرأت القرآن وكثيراً من الأدب ولي عشر ، وكان أبي ممن آخى داعي المصريين ، ويعدّ من الإسماعيلية ^(١) " . وسيأتي إيضاح أكثر لهذه الفقرة في ترجمة ابن سينا — إن شاء الله تعالى .

ثانياً : الأشاعرة ^(١) :

طائفة من أهل الكلام ، ينسبون إلى أبي الحسن الأشعري (٣٢٤هـ) وهم مرجئة في الإيمان ، مؤولة في الصفات وهي أقرب فرق البدع والضلال لأهل السنة والجماعة ظهرت هذه الطائفة في حدود سنة (٢٤٥هـ*) وهي مزيج من مذهب الاعتزال ومذهب أهل السنة والجماعة وهم يثبتون لله سبع صفات يسمونها (صفات المعاني) : العلم ، القدرة ، الإرادة ، الحياة ، السمع ، البصر ، الكلام) . وكثير من الأشاعرة لا يهتمون بتوحيد الألوهية ، مما جعل أكثرهم ينخرط في بدع التصوف ، والسماح بالوسائل الشركية التي ترتكب عند أضرحة المشايخ المقبورين .

(١) سير أعلام النبلاء ١٧ / ٥٣١

(٢) انظر عن عقائدهم الباطلة : أساس التديس للرازي ١٦٨ — ١٧٣ — والشامل للجويني ٥٦١ ، والإرشاد له ٣٥٩ — ٣٦٠ . والمواقف للإبي ٣٩ — ٤٠ .

وانظر الرد عليهم في : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (الفهرس) الجزء الأول ، مواضع عديدة منه . والإيمان لابن تيمية ٣٣٩ وفيه فوائد في الرد عليهم .

ولا ينبغي على كل لبيب أن ابا الحسن الأشعري رجع إلى معتقد أهل السنة والجماعة وتبرأ من مذهب الاعتزال . وقد اشار الذهبي — رحمه الله تعالى — في (السير) ٨٦/١٥ إلى هذا .

* وهو عام وفاة " عبد الله بن سعيد بن كلاب " .

ويقول الأشاعرة بالتأويل والمجاز والجدل الكلامي .
وقد تأثر ابن سينا ببعض نظرياتهم وفلسفاتهم وضمّنها بعض مؤلفاته ^(١) .

ثالثاً : الجهمية ^(٢) : اتباع : " جهم بن صفوان السمرقندي " (١٢٨هـ) : كان تلميذاً للجد بن درهم وورث عنه التعطيل . من عقائد الجهمية : الجبر ، وإنكار الاستطاعات كلها ، والقول بفناء الجنة والنار ، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط ، وأن الكفر هو الجهل به فقط ، ويقولون بنفي الصفات عن الله تعالى .
وقد عمل ابن سينا على شاكلة الجهم فنفي عن الله تعالى صفاته ، وقال بالتعطيل ، كما سيأتي بيانه — إن شاء الله تعالى .

رابعاً : الصوفية ^(٣) : طائفة عكفت على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زخرف الدنيا . ويذكر المؤرخون أن أول من تسمّى بالصوفي هو (أبو هاشم) المولود في الكوفة ، عاش في الشام ، توفي سنة (١٦٢هـ) ، وأن أول من حدّد نظريات التصوف وشرحها هو " ذو النون المصري " (٢٤٦هـ) وأن الذي شرحها وبوّبها ونشرها هو (الجنيد ٣٩٨هـ) ودعى إليها من فوق المنابر (الشبلي ٣٣٤هـ) .

(١) فقال بقدم العالم ، والتأويل ، ونفي كثير من الصفات ، وغريف الباقي منها ، وكذلك خلق القرآن .

(٢) الملل والنحل ٨٦/ ١ — ٨٨ ، والبرهان للسكسكي ٣٤ — ٣٥ ، والفرق بين الفرق ١٥٨ — ١٥٩ .

(٣) من المؤلفين من يقول إن الصوفية اصلها من (الصفاء) وهذا قول مردود مغلوط نبه عليه ابن تيمية رحمه الله تعالى في

(الفتاوي ٣٦٩/١٠) ومال رحمه الله إلى أن الصوفية نسبة إلى لبس الصوف الفتاوي ١٩٥/١١ .

وأنظر عن نشأة التصوف : مقدمة ابن خلدون (٣٣٣) والطبقات للشعراني ١٥/١ — ٢٣ .

ولمعرفة الخلاف حول تاريخ وفاة أبي هاشم ، أنظر : الموسوعة الميسرة في الأدب ٢٥٥/ ١ .

وقد أثبت كثير من الباحثين أن التصوف تأثر بالنقشفس المسيحي ، والنظريات الأفلاطونية ، والمذاهب الهندية الفاسدة .

والحق أن هذا ينطبق على عدد من المتصوفة الذي أتهموا بفساد المعتقد " كالحلاج " (٣٠٩هـ) " وابن الفارض " (٦٣٢هـ) " والسهروردي " (٥٨٧هـ) " والشلمغاني " (٣٢٢هـ) .

وليس معنى هذا عدم وجود متصوفة متمسكين بالكتاب والسنة ، فقد وجد عدد لا بأس به من أعلام الإسلام انتسبوا للتصوف دون التأثير بمصطلحاته ونظرياته التي تخالف روح العقيدة الإسلامية . والمقصود أن ابن سينا تأثر بالمذهب الصوفي وأقتبس منه ووظف مصطلحاته لنشر أفكاره الفاسدة (١) .

خامساً : المعتزلة : فرقة كلامية ، أسسها " واصل بن عطاء " (١٣١هـ)

وهي فرق كثيرة ، يقوم مذهبهم على أصول خمسة :-

١ — التوحيد : قالوا : الله ليس جسماً ، ولا عرضاً ، بل هو خالق الأعراض والجواهر . لا يدرك بالحواس ، ولا يرى في الدنيا والآخرة ، وهو ليس في حيّز ومكان ، ولم يزل ، ولا يزال . كل شيء غيره ممكن الوجود ، وهو واجب الوجود ، ووجوده بذاته ، ووجود غيره من وجوده ، فهو خالق الموجودات ، وجميع الموجودات ممكنة الوجود وحادثة .

٢ — العدل : ويقصدون به أن الله لم يخلق أفعال العباد ، ولا يحب الفساد ، بل العباد يفعلون ما أمروا به وينتھون عما نهوا عنه بالقدرة التي جعلها الله لهم ، وقد خلطوا بذلك بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية .

٣ — الوعد والوعيد : أي أن الله يجازي المحسن إحساناً ، والمسيء سوءاً ، ولا يفر لمرتكب الكبيرة إلا أن يتوب .

٤ — المنزلة بين المنزلتين : أي أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين الإيمان والكفر ، فليس بمؤمن ولا كافر (٢) .

(١) دراسات في التصوف (١١٩) .

(٢) وبُسمي حينئذ فاسقاً ! .

٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ويهدفون من ورائه إلى الخروج على الحاكم إذا خالف وانحرف عن الحق ^(١) .
وللمعتزلة أسماء عديدة من أشهرها : الجهمية ، والقدرية ، والثوية ، والمجوسية ، ومخانيث الخوارج ، والوعيديه ، والمعطلة .. الخ ^(٢)

سادساً : الفلاسفة : واحداهم (فيلسوف) : وهو محب الحكمة .
والفلسفة : دراسة المبادئ الأولى وتفسير المعرفة تفسيراً عقلياً ، وكانت تشمل العلوم جميعاً أما الآن فتشمل المنطق والأخلاق وعلم الجمال ، وما وراء الطبيعة .
والفلاسفة أقسام :

— الفلاسفة الدهرية : طائفة شاذة من الفلاسفة تابعوا " ارسطوا " وخالفوا الأساطين المتقدمين من الفلاسفة ، وعقيدتهم في الله أنه : الوجود المطلق ، بشرط الإطلاق ، وليس عنده صفة ثبوتية تقوم به ، ولا يفعل شيئاً باختياره البتة ، ولا يعلم شيئاً من الموجودات أصلاً ، ولا يعلم عدد الأفلاك ، ولا شيئاً من المغيبات ، ولا له كلام يقوم به ، ولا صفة . ومعلوم أن هذا إما هو خيال مقتر في الذهن ، لا حقيقة له ، وإنما غايته أن يفرضه الذهن ويقدره ، كما يفرض الأشياء المقدرة .
— فلاسفة الفلسفة الإشرافية : تجمع بين الفلسفة والتصوف ، وكان على رأسها " السهروردي " المقتول سنة (٥٨٧هـ)

قلت : تكاد تجزم الشواهد التاريخية أن أول من تكلم في الفلسفة : (ثالث بن مالس الأمليسي) واحد من أشهر الفلاسفة السبعة السريانيين ، وقيل إن أول من سمى الفلسفة بهذا الاسم هو : (يوثاغورس) وهو أول من تكلم بها أيضاً ^(٣) .

(١) المعتزلة للمعتز (ص٢٦٧)

(٢) المعتزلة للمعتز (٢٢٢ — ٢٦)

(٣) تاريخ الفلسفة في الإسلام ١٩ — ٥٢ . ونشأة الفكر الفلسفي ١/ ١٠٢ . وإغاثة اللهفان ٢ / ٣٧٣ . وأصول الفلسفة الإشرافية .

والفهرست ٢٤٣ .

ومن الفلاسفة الذين تأثر بهم ابن سينا : (إخوان الصفا) :
وهي جماعة فكرية دينية ذات نزعة شيعية إسماعيلية باطنية ، ظهرت في النصف
الثاني من القرن الرابع الهجري ، سنة (٣٧٣هـ) ، واتخذت من البصرة مقراً لها
، كانت تنظيماتها سرية ، ومعتقداتها مزج السياسة بالفلسفة والعلوم والدين ، أخذوا
نظرية (الفيض) عند " أفلاطون " (٢٧٠ ق . م) ومزجوها بفلسفة : " فيثاغورس "
(٥٠٧ ق . م) في الأعداد ، وبفلسفة الفلاسفة الطبيعيين من القول بالعناصر الأربعة
، بالإضافة إلى فلسفة " أرسطو " (٣٢٢ ق . م) القائلة بالهولي والصورة .
وآراؤهم إلحادية ، ومقولاتهم كفرية ، ونظرياتهم بدعية لا تستند على برهان قاطع ،
أو دليل جامع ^(١) .

لقد تجرّع ابن سينا من معين القوم ، وكتب وحفظ ودون معتقداتهم فعمل بها وعلمها
(فلهذا كان ابن سينا وأمثاله من أهل دعوة القرامطة الباطنية من أتباع الحاكم الذي
كان بمصر ^(٢) وهؤلاء وأمثالهم من رؤوس الملاحدة الباطنية ، وقد ذكر ذلك عن
نفسه ، وأنه كان هو وأهل بيته من أهل دعوة هؤلاء المصريين الذين يسميهم
المسلمون الملاحدة ، لإلحادهم في أسماء الله وآياته إلحاداً أعظم من إلحاد اليهود
والنصارى ^(٣) .

(١) أنظر عن كفرياتهم وإلحادهم وبدعياتهم :

— رسائل إخوان الصفا .

— تاريخ الفلسفة الإسلامية ٢٤٥ — ٢٤٦ .

— إخوان الصفا ١١٧ — ١١٨ .

— الحركات الباطنية ١٧٩ — ١٨٣ .

(٢) أنظر ص (٣٤) من كتابنا هذا .

(٣) درء التعارض ١ / ٢٨٩ — ٢٩٠ .

وفي هذا الصدد أودَّ أن اشير إلى نقطتين هامتين :

الأولى : أن ابن سينا ما كان ليبلغ ما بلغ من جرأة على العقيدة الإسلامية لولا فخره واعتداده بنفسه مما سؤل له الخوض في المسائل العقدية قدحاً وذنماً ، وهذا ما عناه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله : " وابن سينا تكلم في أشياء من الإلهيات والنبوات والمعاد والشرائع ، لم يتكلم فيها سلفه ، ولا وصلت إليها عقولهم ولا بلغتها علومهم ، فإنه استفادها من المسلمين ، وإن كان إنما أخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية ، وأحسن ما يظهرون دين الرفض وهم في الباطن يبطنون الكفر المحض ... وابن سينا لما عرف شيئاً من دين المسلمين ، وكان قد تلقى ما تلقاه عن الملاحدة وعمن هو خير منهم من المعتزلة والرافضة ، اراد أن يجمع بين ما عرفه بعقله من هؤلاء وبين ما أخذه من سلفه ، ومما أحدثه مثل كلامه في النبوات وأسرار الآيات والمنامات ، بل وكلامه في بعض الطبيعيات وكلامه في واجب الوجود ونحو ذلك وإلا فأرسطو وأتباعه ليس في كلامهم ذكر واجب الوجود ، ولا شيء من الأحكام التي لواجب الوجود ، وإنما يذكرون (العلة الأولى) ، ويثبتونه من حيث هو علة غائية للحركة الفلكية يتحرك الفلك للتشبه به ، فابن سينا أصلح تلك الفلسفة الفاسدة بعض اصلاح حتى راجت على من يعرف دين الإسلام من الطلبة النظار ، وصار يظهر لهم بعض ما فيها من التناقض ، فيتكلم كل منهم بحسب ما عنده ، ولكن سلموا لهم أصولاً فاسدة في المنطق والطبيعيات والإلهيات ، ولم يعرفوا ما دخل فيها من الباطل ، فصار ذلك سبيلاً إلى ضلالهم في مطالب عالية إيمانية ، ومقاصد سامية قرآنية ، خرجوا بها عن حقيقة العلم والإيمان وصاروا بها في كثير من ذلك لا يسمعون ولا يعقلون ، بل يفسطون في العقلیات ، ويُقرمطون في السمعیات " (١) .

الثانية : المحاكاة والتقليد الأعمى لكل كافر وفاجر نظر في العلوم الفلسفية ، والمعارف الدينية ، التي زخرفوها وزينوها مع التشق بالمصطلحات الغريبة ، والجمال الأعجمية التي لا يعرفها سلف الأمة لا في الكتاب ، ولا في السنة " وابن سينا ذكر في إشاراتِه في (مقامات العارفين) في الترغيب فيه ، وفي عشق الصور ، ما يناسب طريقة أسلافه الفلاسفة والصائبين المشوكين ، الذين كانوا يعبدون الكواكب والأصنام ، كأرسطو وشيعته من اليونان ، ومن أتبعه كـ (برقلس) و (ثامسطيوس) و (الاسكندر الأفروديسي) .. وابن سينا أحدث فلسفة ركَّبها من كلام سلفه اليونان ، ومما أخذه من أهل الكلام المبتدعين الجهمية، ونحوهم ، وسلك طريق الملاحدة الإسماعيلية في كثير من أمورهم العلمية والعملية ، ومزجه بشيء من كلام الصوفية ، وحقيقته تعود إلى كلام أخوانه الاسماعيلية القرامطة الباطنية " (١) .

(١) فتاوي ابن تيمية ٥٧٠/١١ وما بعدها ، وفيها فوائد يحسن الوقوف عليها .

ب - الحالة السياسية :

عاش ابن سينا في العصر العباسي الثاني ، وعاصر اثنين من خلفاء بني العباس ،
وإن لم يشاهدهما ، وهما :

١ - (القادر بالله) : أحمد بن إسحاق : (٣٣٦ - ٤٢٢ هـ)
كان حازماً مطاعاً حليماً كريماً ، دامت له الخلافة (٤١ سنة) وقام الإسلام في وقته
، وفتحت السند والهند ، وملكت الجزيرة والشام ، كان عالماً ، صنّف كتاباً في
الأصول ، كفر فيه المعتزلة ، والقائلين بخلق القرآن ^(١) .

٢ - (القائم بأمر الله) : عبدالله بن أحمد بن إسحاق : (٣٩١-٤٦٧ هـ)
كان ورعاً عادلاً ، له عناية بالأدب والإنشاء . وفي عهده كانت فتنة (البساسيري)
سنة (٤٥٠ هـ) ^(٢) .

قلت : ولم يترك ابن سينا من خلافة (القائم) سوى ست سنوات حيث توفي ابن
سينا سنة (٤٢٨ هـ) .

ومما يجب ذكره أن الخلافة العباسية ازدادت ضعفاً منذ أوائل القرن الرابع الهجري
، لازدياد شوكة القواد من الأتراك وتفاقم خطر الدول المستقلة ، فقد عظمّت
شوكة (علي بن بويه) في فارس ، وأصبحت الري وأصبهان وبلاد الجبل في
يد أخيه (الحسن بن بويه) ^(٣) .

وقد وصف البيروني موقف الخلفاء العباسيين من سلاطين بن بويه (الشيعة) فقال:
" إن الدولة والملك قد انتقلت من آل العباس إلى آل بويه ، والذي بقي فسي أيدي
الدولة العباسية إنما هو أمر ديني واعتقادي .. " ^(٤) .

(١) الأعلام ١ / ٩٥

(٢) " الباسوي " قائد تركي ، كان يخدم القائم العباسي ، استولى على أمور الدولة في وقته ، فانقلب على القائم وأخرجه من بغداد ،

وخطب للمستنصر الفاطمي صاحب مصر ، اغتاله أعوان القائم فقتلوه سنة (٤٥١ هـ)

والبساسيري لقبه ، واسمه : ارسلان بن عبدالله . انظر : الأعلام ١ / ٢٨٧ . والبنية والنهاية ، حوادث سنة (٤٥٠ هـ)

(٣) تاريخ الإسلام السياسي ٣ / ٢٤٧ .

(٤) الآثار الباقية ١٣٢ .

وكان بنو بويه شيعة غالية ، لذلك لم يعترفوا بأحقية الخليفة العباسي السني في زعامة المسلمين ، ولذلك لم يكن للخليفة العباسي في عهدهم شيء من النفوذ سوى ذكر اسمه في الخطبة ونقشه على السكة وذلك لأغراض سياسية غايتها احتفاظ هؤلاء الحكام بمراكزهم أمام الجمهور وإعطاء حكمهم صبغة شرعية في البلاد ولولا خوف بني بويه من ضياع نفوذهم السياسي لما تورعوا عن تحويل الخلافة من العباسيين إلى العلويين (١) .

أما بيئة ابن سينا التي ولد وعاش فيها ، فقد كان يحكمها (السامانيون) وهي سلالة فارسية بسطت سلطانها على الجزء الشرقي من إيران وعلى بلاد وراء النهر ، ومؤسسها : (سامان خذاه) (٢) .

وفيما يلي ثبت بأمرأ هذه الأسرة :

- ١ - إسماعيل بن أحمد (٢٧٩ - ٢٩٥ هـ)
- ٢ - أحمد بن إسماعيل (٢٩٥ - ٣٠١ هـ)
- ٣ - نصر بن أحمد (٣٠١ - ٣٣١ هـ)
- ٤ - نوح الأول بن نصر (٣٣١ - ٣٤٣ هـ)
- ٥ - عبد الملك الأول بن نوح (٣٤٣ - ٣٥٠ هـ)
- ٦ - منصور الأول بن نوح (٣٥٠ - ٣٦٥ هـ)
- ٧ - نوح الثاني بن منصور (٣٦٥ - ٣٨٧ هـ)
- ٨ - منصور الثاني بن نوح (٣٨٧ - ٣٨٩ هـ)
- ٩ - عبد الملك الثاني بن نوح (٣٨٩ - ؟)

(١) تاريخ ابن الأثير ٨ / ٢٥٧ .

(٢) موسوعة المورد العربية ٢ / ٥٩٦ . ودائرة المعارف الإسلامية ١١ / ٧٦ .

وبعدهم جاء الغزنويون* الذين توسّعت دولتهم على حساب أمراء بني بويه ،
وقد استوزر ابن سينا لأحد أمرائهم .
ومن الجدير بالذكر أنّ الفاطميين الشيعة كانوا يحكمون مصر وشمال أفريقيا ،
وكان والد ابن سينا من أتباعهم . وقد كانت دولة الحمدانيين في حلب ، وهم أيضاً
من الإسماعيليين.^(١)

(١) ابن سينا — حياته — وفلسفته (ص ٨) .

* وعلي أيديهم سقطت الدولة السامانية ، وقد أشرت إلى ذلك في كتابي : " محمود بن سبكتكين " وموقفه من عقيدة أهل السنة والجماعة ، ص (٨) .

المبحث الثاني

﴿حياته ومؤلفاته﴾ *

أ - حياته :

أولاً : نسبه :

الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا^(١) البلخي ، البخاري (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ) يُلقب بـ (الشيخ) و (الرئيس) كنيته (أبو علي) ولد بقرية من قرى بخارى يقال لها (خرميثا) . وكانت ولادته في شهر (صفر) واسم والدته (ستارة) ، وزعم المنجمون أن ابن سينا لما ولد كان الطالع السوطان درجة شرف المشتري ، والقمر على شرف درجته ، والزهرة على درجة شوفها ، وسهم السعادة في تسع من السرطان ، وسهم الغيب في أول السرطان مع سهيل والشعري اليمانية .

كان أبوه إسماعيلياً ، قال عن نفسه : (كان أبي ممن آخى داعي المصريين ، ويعتد من الإسماعيلية) وهذه شهادة مهمة أدان ابن سينا بها نفسه^(٢)

* ترجمته في المصادر الآتية :

وفيات الأعيان ١٥٧ / ٢ - ١٦٢ . البداية والنهاية ٤٢ / ١٢ - ٤٣ . لسان الميزان ٢٩١ / ٢ - ٢٩٣ . ميزان الاعتدال ٥٣٩ / ١ . تاريخ الحكماء ٤١٣ - ٤٢٦ . الكامل في التاريخ ٤٥٦ / ٩ . أعيان الشيعة ٢٨٧ / ٢٦ .

عيون الأنباء ٤٣٧ - ٤٥٩ . عيون التواريخ ١٥٩ / ١٢ - ١٦٦ . الشقائق النعمانية ٤٧٥ / ١ - ٤٧٨ .

تاج التراجم ١٩ . مرآة الجنان ٤٧ / ٣ - ٥١ . المختصر في أخبار البشر ١٦١ / ٢ - ١٦٢ .

الجواهر المضية ٦٣ / ٢ - ٦٣ . النجوم الزاهرة ٢٥ / ٥ - ٢٦ . شذرات الذهب ٢٣٤ / ٣ - ٢٣٧ .

هدية المارفين ٣٠٨ / ١ - ٣٠٩ . المحدودون في الإسلام (؟) ١٨٥ - ١٨٩ . طبقات الفقهاء (٧٠) دائرة المعارف الإسلامية ٢٠٣ / ١ . مؤلفات ابن سينا ١٣ / ٧ . والأعلام ٢ / ٢٤١ . ومعجم المؤلفين ١ / ٦١٨ .

(١) سينا : اسم علم ، وأخطأ من حقق أنه اسم مكان . و " سينا " المكان الذي نزل فيه الوحي على موسى بن عمران عليه السلام . وفي التوثيل العزيز : و " طور سين " . قال باقوت الحموي : " وليس في الكلام العربي اسم مُركب من (س ، ي ، ن) إلا في قولك في الحرف سين " وذلك المكان موجود بالشام ، وهو جبل معروف إلى يومنا هذا . وفي قول الله تعالى ((وشجرة تخرج من طور سيناء))

(المؤمنون ٢٠)

قرأ الكوفيون بفتح السين على وزن (فعلا) . وفعلا ، في كلا العرب كثير ، يمنع من الصرف في المعرفة والتكرة ، لأن في آخرها ألف التأنيث ، وألف التأنيث ملازمة لما هي عليه ، وليس في الكلام فعلا ، ولكن من قرأ (سيناء) بالكسر جعله (فعلاً) ، فالهجرة فيه كهجرة -

حرباء) ولم يصرف في هذه الآية لأنه جُعل اسم بقعة . وزعم الأخفش أنه اسم أعجمي . انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٢ / ١٧ .

وموسوعة النحو والصرف والإعراب (ص ٥٠) .

(٢) درء التعارض ١٠ / ٦٠

ثانياً : نشأته :

انتقلت أسرة ابن سينا إلى (بخارى ^(١)) في حدود سنة (٣٧٧هـ) وبدأ ابن سينا — وهو في سن مبكرة — في تكوين نفسه عقلياً وعلمياً وروحياً ، فقد اتصل بأمهر علماء عصره ، وجلس في دروس العلم يتفقه ويتعلم ، ويجادل ويناقش وهو في سن مبكرة .

لما أكمل من عمره عشر سنوات كان قد أتقن حفظ القرآن ، والأدب ، وأصول الدين ، وحساب الهندسة ، والجبر والمقابلة .

ولما بلغ ست عشر سنة كان قد أحكم الفقه والمنطق ، وعرف الطب واستطاع معالجة الناس والتعرف على الأمراض والأدوية .

وببلوغه ثمان عشرة سنة كان قد فرغ من تحصيل كل العلوم المتاحة في عصره ^(٢) .

لقد استفاد ابن سينا من علماء عصره ، لاسيما اثنين منهم، هما :

١ — أبو عبدالله النائلي : قرأ عليه كتاب (إيسا غوجي) وأحكم عليه علم المنطق و (إقليدس) و (المجسطي) .

٢ — إسماعيل الزاهد : قرأ عليه الفقه (الحنفي) .

(١) بخارى : مدينة في الجزء الغربي من جمهورية أوزبكستان السوفياتية سابقاً . احتلها المسلمون سنة (٨٨٩هـ) . ازدهرت في عهد السامانيين . سكانها (١٥٠,٠٠٠) نسمة .

(٢) قلت : ليس ذلك بغريب ولا يعجب على قوم فرغوا قلوبهم وعقولهم لطلب العلم وتسمي سلم المجد ، ويعود ذلك — في رأيي — إلى ثلاثة أسباب :

الأول : كان طلبهم للعلم في سن مبكرة بعد واجتهاد وعزيمة تشق الصخر .

الثاني : الإخلاص للعلم والتضحية براحة الجسم وعافيته ، والتفاني في ذلك . والمترجم له يقول عن نفسه إنه لم ينام ليلة واحدة بكاملها ، وأنه قرأ كتاب أرسطو " ما وراء الطبيعة " أربعين مرة !

الثالث : البيئة والمصر والظروف الحياتية الخالية من التكلف والتعقيد التي تصرف صاحبها — أحياناً — عن طلب المعارف . وللفائدة انظر " كلمة العلامة (محمد غزاد سركين) صاحب كتاب " تاريخ التراث العربي " التي ألقاها في اللقاء الرابع لمنظمة الفتوة العالمية للشباب الإسلامي ، في الرياض سنة (١٣٩٩هـ) . ذكرها الشيخ عبدالفتاح أبو غدة — عفى الله عنه — في كتابه (صفحات) ص (٣٥٦)

وقد استطاع ابن سينا إدراك العلوم في عصره في زمن يسير لأمرين :
الأول : همته العالية ، وعزيمته القوية . وما أحسن قول الشاعر ^(١) .

يُشيعني قلب إلى العزّ تائق	ونفس إلى العليا شديد نزوعها
أشرفها من أن يكون إباؤها	لواجب حق أو يضيّم خنوعها
وما أنا في السّراء يوما فروحها	ولا أنا في الضراء يوماً جزوعها
سأنزلها الملحود أو رأس هضبة	من العزّ يعيي كل راق ظلوعها
وما طلبني العلياء إرث كلاله	فيقصر خطوي دونها فأسوعها
عليّ لها سعي الكرام فإن أمت	فوهاؤها سلابها ونزوعها

وقد وصف أصحاب التراجم علو همته بقولهم : ((وفي مدة اشتغاله لم ينم ليلة واحدة بكمالها ، ولا اشتغل في النهار بسوى المطالعة ، وكان إذا أشكلت عليه مسألة توضّأ وقصد المسجد الجامع ، وصلى ودعا الله عز وجل أن يُسهّلها عليه ، ويفتح مغلقها له ^(٢))) .

الثاني : سعيه لتحقيق مآربه الفاسدة ، وأهدافه السيئة :

ويمكن إيضاح ذلك في النقاط الآتية :

١ - إعجابه الشديد بالفيلسوف الملحد (أرسطو ^(٣)) وشغفه بنظرياتّه ومقولاته ومقالاته ، ومحاولة التقريب بين الدين الإسلامي وفلسفة المشائين ، مع أنه قد خالفهم في كثير من مؤلفاته ^(٤) .

(١) حياة علي بن المقرب العمري ٢٢٧

(٢) وفيات الأعيان ٢ / ١٥٨

(٣) أرسطو ٣٨٤-٣٢٢ ق / م / فيلسوف يوناني . أسس مذهب (فلسفة المشائين) أهم مؤلفاته (المقولات) و(الجدل) و(الخطابة)

و(ما بعد الطبيعة) و(السياسة) و(النفس) أسهمت كتاباته في نشر الإلحاد والزندقة وتشكيك بعض المسلمين في عقيدتهم ونوحدهم .

وكل الفلاسفة الذين يسمون اليوم ظلماً ومهناً (فلاسفة الإسلام) هم في الحقيقة بعض غرسه الذي بذره ، قال الله المشتكى .

أنظر في الرد على شطحاته وكفريات : درء التعارض ١ / ١٢٦ - ١٣٣ - ١٥١ و ٣ / ١٦٢ ، ١٦٣ و ٦ / ٦٤ - ٦٨ .

(٤) يري بعض الكتاب أن فلسفة ابن سينا مستقاة من فلسفة (السهروردي) . انظر تاريخ الفلسفة الإسلامية . هنري كوربان (ص٢٦٤)

" وقد صرح أرسطو وسائر الفلاسفة أن الممكن ، الذي يمكن وجوده وعدمه ، لا يكون إلا محدثاً ، وأن الدائم القديم الأزلي لا يكون إلا ضرورياً ، لا يكون محدثاً ، وابن سينا واتباعه وافقوهم على ذلك ، كما ذكروا ذلك في المنطق في غير موضع .. لكن ابن سينا واتباعه تناقضوا بسبب أنهم لما وجدوا المتكلمين قد قسموا الموجود إلى واجب وممكن ، والممكن عندهم هو الحادث ، سلكوا سبيلهم في هذا التقسيم ، وأنخلوا في الممكن ما هو قديم أزلي ، ونسوا ما ذكروه في غير هذا الموضع : من أن الممكن لا يكون إلا محدثاً . وكان ما ذكره هؤلاء ، وسائر العقلاء ، دليلاً على أن ما سوى الله تعالى محدث كائن بعد أن لم يكن ، لما ثبت أنه ليس بواجب الوجود موجوداً بنفسه إلا الله وحده ، وأن ما سواه مفتقر إليه . وكان ما ذكره أرسطو وسائر العقلاء مبطلاً لما ذكره ابن سينا واتباعه في الممكن وتناقضوا فيه ، وكان ما ذكره ابن سينا واتباعه من العقلاء في الواجب بنفسه مبطلاً لما ذكره أرسطو واتباعه .. (١) " .

وأستمع إليه يقول : " أعدت قراءة كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو أربعين مرة حتى صار لي محفوظاً ، وأنا مع ذلك لا أفهمه " (٢) .

" وكان أهل بيت ابن سينا من اتباع هؤلاء القرامطة ، من المستجيبين للحاكم الذي كان بمصر . قال ابن سينا : وبسبب ذلك دخلت في الفلسفة " (٣) .

٢ - تقربه من الحكام الذين أتهموا في عقائدهم ، ومحاولة ارضائهم بتحويل المسائل الدينية إلى ما يوافق نزعاتهم وأهوائهم .. يقول ابن الأثير رحمه الله (٤) : " وكان ابن سينا يخدم علاء الدولة (أبو جعفر بن كاكويه) (٥) ولا شك أن أبا جعفر

(١) درء التعارض ٨ / ١٨٦

(٢) طبقات الأطباء ٤٣٩ . والوحي بالوحيات ٣٩٢/١٢ ، وسمو أعلام النبلاء ٥٣٢/١٧ .

(٣) اغانة اللهجات ٦٢٢ . وفخاوي ابن تيمية ١٣ / ١٧٧ . ودرء التعارض ٥ / ١٠ .

(٤) الكامل ٨ / ١٥ .

(٥) اسمه : (دحير بار) وإنما قيل كاكويه لأنه كان ابن خال والدة مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه ، وكاكويه هو الحال بالفارسية .

انظر أعلامه في : الكامل ٧ / ٢٣٩ ، والمفهرس العام .

فاسد الاعتقاد ، فلهذا أقدم ابن سينا على تصانيفه في الإلحاد ، والرد على الشرائع في بلده " .. " والمقصود هنا أن هؤلاء الملاحدة يحتجون على النفاة بما وافقوهم عليه من نفي الصفات والإعراض عن دلالة الآيات ، كما ذكر ذلك ابن سينا في (الرسالة الأضحوية) التي صنفها في المعاد لبعض الرؤساء الذين طلب تقربه إليهم ليعطوه مطلوبه منهم من الجاه والمال وصرح بذلك في أول هذه الرسالة^(١) .

٣ - تسنمه منصب الوزارة في (همذان) للأمير (شمس الدولة بن بويه) سنة (٤٠٥هـ) وهذا يسر له بث سمومه ، ونشر آرائه ومعتقداته ، وفرض أفكاره على خصومه .

يروى السمرقندي نظام الوزير ابن سينا في يومه قائلاً : " كان يستيقظ قبل الفجر ليكتب بضع صحائف من (الشفاء) ، وعند الفجر كان يستقبل تلاميذه للمدايسة حتى تنتشر تباشير الصباح فيصلي بهم إماماً . وعند خروجه إلى الديوان كان يلقاه ألف من الفرسان . ومن بينهم وجوه الدولة وأصحاب الحاجات ، فيركب الوزير فرسه وحوله الحاشية حتى يصل إلى مقر عمله فيمكث إلى الظهر . ثم يعود لتناول الغذاء الذي كان يشاركه فيه خلق كثير . ثم يتقيل بعد ذلك طلباً للراحة . ثم يستيقظ فيؤدي صلاة العصر . وبعد ذلك يلزم الأمير للمنادمة والمحادثة حتى يصلي المغرب^(٢) " .

ويروى الجوزجاني : " وكان يجتمع كل ليلة في داره طلبية العلم وكنت أقرأ من (الشفاء) نوبة ، وكان غيري من (القانون) نوبة^(٣) " .

(١) درء التعارض ١٠/ ٥ .

(٢) شهر مجلة (ص ٣٨) . انظر : ابن سينا بين الدين والفلسفة ص ٤١ .

(٣) أخبار الحكماء ٢٧٣ .

ثالثاً : رحلاته :

- ١ - رحل من مسقط رأسه (خرمثينا) ، إلى (بخارى) في حدود سنة (٣٧٧هـ) وعمره سبع سنوات .
- ٢ - رحل من (بخارى) إلى (كركانج) سنة (٣٩٢هـ) بسبب اضطراب أمور الدولة السامانية ، وعمره أثنان وعشرون عاماً .
- ٣ - رحل من (كركانج) إلى (جرجان) سنة (٤٠٣هـ) بأمر من الأمير (علي بن مأمون) للاختفاء من السلطان (محمود بن سبكتكين) (٤٢١هـ)^(١) ، الذي طلب الوفود عليه للإقامة في بلاده .
- ٤ - وصل (جرجان) بعد معاناة شاقة ، ومكث فيها مدة عامين .
- ٥ - رحل من (جرجان) إلى (الري) عاصمة " مجد الدولة ابن بابويه " سنة (٤٠٥هـ)
- ٦ - رحل من (الري) إلى (همذان) وتولّى فيها الوزارة للأمير " شمس الدولة بن بويه " .
- ٧ - رحل من (همذان) بعد أن أقبل من الوزارة سنة (٤١٢هـ) إلى أصفهان (وأستقرّ بها سنة (٤١٤هـ) بعد أن زار عدداً من قرى (خراسان) ، وفي (أصفهان) مكث أربع عشرة سنة في كنف " أبي جعفر بن كاكويه " الذي أنهم بفساد العقيدة . .
- ٨ - رحل من (أصفهان) إلى (همذان) سنة (٤٢٦هـ) برفقة الأمير (ابن كاكويه) ، وفيها كثرت عليه الأمراض والأوجاع إلى أن توفي بها سنة (٤٢٨هـ) .

(١) محمود بن سبكتكين (٣٦١ - ٤٢١هـ) فاتح الهند ، السلطان الغزنوي ، تركي الأصل ، كان عباً للعلماء . وكان على مذهب الكرامية في الاعتقاد . له أخبار كثيرة أفردتها في كتاب عن عقيدته .

رابعاً : أخلاقه :

إذا ضعف إيمان العبد بالله تسلّطت عليه العادات القبيحة ، والخصال البذينة ، والأخلاق الوضيعة . ومن طالع شيئاً من مصنفات ابن سينا وقرأ كيف يتلاعب بأصول الشريعة ، وأركان الملة ، ويسفّه الأنبياء ، ويسخر من الصحابة ، تبين له انحذار أخلاق الرجل ، وقلة دينه .

يقول ابن تيمية — رحمه الله تعالى — : " أهل الإيمان ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قرون وأجيال ^(١) " .

وهذه أمثلة يسيره تعكس حقيقة أخلاق ابن سينا :-

١ — روى البيهقي أن (ابا جعفر بن كاكويه) أهدى ذات مرة إلى ابن

سينا " منطقة مفضضة " ^(٢) وبعد قليل من الزمن وجدها مع بعض غلمانها ،

فاعتبر ذلك إهانة له : وصكّ الفيلسوف على وجهه صكّة شديدة ثم أمر بقتله . ^(٣)

٢ — أجمع ابن سينا يوماً مع ابي منصور الجبائي اللغوي بحضرة الأمير ابن

كاكويه ، وجرى ذكر مسألة في اللغة فتكلّم فيها ابن سينا بما حضره مما دفع ابو

منصور إلى أن يتهكّم عليه قائلاً : أنت فيلسوف وحكيم ولم تقرأ اللغة . عكف

ابن سينا بعد ذلك على دراسة اللغة ثلاث سنوات كاملة . ثم أنشأ ثلاث قصائد

ضمّنها ألفاظاً غريبة في اللغة ، وكتب رسائل في النثر بأساليب مختلفة

ثم أمر بها فأخلق جلدها ، وأوعز إلى الأمير أن يستدعي الجبائي ويعرض كل

ذلك عليه زاعماً أنه قد ظفر بها وقت الصيد في الصحراء . ولما انكشف جهل

الجبائي بها ، تقدّم ابن سينا وأخذ يشرح ما استغلق على الجبائي فهمه ^(٤) .

وقد أدرك الجبائي وقتها أن هذه مكيدة من ابن سينا لكي يعلمه بحقيقة ما تعلّمه .

(١) نقص المطلق لابن تيمية ص ٨ . وهداية الخياري لابن القيم ٢٣٤ — ٢٤٨ .

(٢) المنطقة : ما يشد به الوسط ، جمعها (مناطق) المعجم الوسيط (نطق)

(٣) تاريخ حكماء الإسلام ص ٣٥

(٤) عيون الأنباء ٧ / ٢

٣ - دخل ابن سينا مرةً على " مسكويه " (٤٢١هـ) وهو من علماء اللغة - والتلاميد حوله ، فرمى ابن سينا إليه بجوزة وقال له : بين مساحة هذه الجوزة بالشعيرات ، فرفع مسكويه أوراقاً في الأخلاق ورماها إلى ابن سينا ، وقال له : أما أنت فاصلح أخلاقك أولاً حتى أستخرج مساحة الجوزة^(١) .

قلت : وفي الوقوف على عقيدته ومعرفة شطحاته أعظم دليل على بيان أخلاقه .

خامساً : وفاته :

" كان أبو علي قوي المزاج ، وتغلب عليه قوة الجماع حتى أنهكته ملازمته وأضعفته ، ولم يكن يداوي مزاجه ، وعرض له قولنج^(٢) ، فحقن نفسه في يوم واحد ثماني مرات ، فقرح بعض أمعائه وظهر له سحج^(٣) . واتفق سفره مع علاء الدولة ، فحصل له الصرع الحادث عقيب القولنج ، فأمر باتخاذ دانقين من كرفس في جملة ما يحقن به . فجعل الطبيب الذي يعالجه فيه خمسة دراهم منه ، فازداد السحج به من حدة الكرفس ، فطرح بعض غلماناه في بعض أدويته شيئاً كثيراً من الأفيون ، وكان سببه أن غلماناه خانوه في شيء . فخافوا عاقبة أمره عند بُرئه ، وكان مذ حصل له الألم يتحامل ويجلس مرة بعد أخرى ولا يحتمي ، ويجامع ، فكان يمرض أسبوعاً ويصلح أسبوعاً . ثم قصد علاء الدولة همدان

(١) ابن سينا : حياته ، وآثاره ص (١٦)

(٢) القولنج : مرض يصيب الأمعاء الغليظة ، ويسمى اليوم (القولون) العصي ، ومن أعراضه انقباض الريح .

انظر رسالة : مداواة الرجل للمرأة ص (١٠٤)

(٣) السحج : قشور تخرج عقب المرض .

من أصبهان ومعه الرئيس أبو علي ، فحصل له القولنج في الطريق ، ووصل إلى همذان وقد ضعف جداً ، وأشرفت قوته على السقوط ، فأهمل المداواة وقال : المدبر الذي في بدني قد عجز عن تدبيره فلا تتفعمني المعالجة .. ثم أغتسل وتاب وتصدق بما معه على الفقراء ، وردّ المظالم على من عرفه وأعتق ممالكيه ، وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمه ، ثم مات بهمذان يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ودفن بها " (١) .

(١) وفیات الأعيان ٢ / ١٦٠ ، وعيون الأنباء ٤٥٨ ، والرواي بالوفيات ١٢ / ٤١١ .

والكامل في التاريخ ٨ / ١٥ وفيه أنه توفي في (شعبان) والصحيح ما ذكر أعلاه .

قلت : يتردد في بعض المصادر أن ابن سينا مات في السجن ، ويستدلون ببيتين من الشعر ينسبان إلى :

" موسى بن يونس بن محمد بن منعة " وهما :

رأيت ابن سينا يعادي الرجال وفي السجن مات أحسنّ الممات

فلم يشف ما نابه بالشفاء..... ولم ينج من موته بالنجاة

ورواية موت ابن سينا في السجن غير صحيحة — في نظري — لأمرين :

الأول تواتر الأخبار التي تفيد أن ابن سينا مات بالقولنج وهو بصحة الأمر ، ولم يرد ما يخالف ذلك ، فثبت بطلان غرود ،

الثاني : حجة القائلين بوفاة ابن سينا مسجوراً ما ورد في البيت الأول وهي لفظة (الحبس) ويعنون بالحبس : (السجن) لكن من خلال الروايات

التي تفيدنا بمرض ابن سينا بعلّة القولنج — وهو مرض يصيب الأمعاء ، ومن أعراضه انقباض الرّيح في البطن — يزول بعمد الله الأغسال ،

ويثبت يقيناً أن ابن سينا مات بحبس ريمه لا بحبس بدنه بين القضبان .

ومما يؤكد هذا أن الشاعر أراد استعمال لوناً من ألوان البدع في البلاغة العربية وهو الجنس ...

كما في : (الحبس) و (الشفاء) و (النجاة) ، فروي لنا حياة ابن سينا وهو يعادي الرجال حتى توفي محبوساً بطنه فلم يشفه ما صنغه من كسب

(الشفاء) ولا (النجاة) فمات على تلك الحال .

للفائدة انظر : ابن سينا بين الدين والفلسفة (ص ٤٧)

ب - مؤلفاته :

تحدثنا في الصفحات السابقة عن العلوم التي حصلها ابن سينا في مدة وجيزة ، وأن نبوغه وهمتته مهّدتا له طريق المعرفة وتحصيل العلوم .
وقبل استعراض مؤلفاته ، أرى أنه من الضروري بيان المصادر التي استقى منها ابن سينا ثقافته وعلمه :

أولاً : ثقافة والده الإسماعيلي : (عبدالله بن الحسن بن سينا)

" كان أهل ابن سينا من أتباع هؤلاء القرامطة ، ومن المستجيبين للحاكم الذي كان بمصر* . قال ابن سينا : وبسبب ذلك دخلت في الفلسفة ^(١) " لقد كان (عبدالله بن علي) والد ابن سينا يستضيف في داره دعاة الشيعة الإسماعيلية من المصريين ، وكان محباً للفلسفة والفلاسفة ، كثير المطالعة لرسائل إخوان الصفا المليئة بالكفر والإلحاد والزندقة " فلهذا كان ابن سينا وأمثاله من أهل دعوة القرامطة الباطنية من أتباع الحاكم الذي كان بمصر ، وهؤلاء وأمثالهم من رؤوس الملاحدة الباطنية ، وقد ذكر ذلك عن نفسه ، وأنه كان هو وأهل بيته من أهل دعوة هؤلاء المصريين الذين يسميهم المسلمون الملاحدة ، لإلحادهم في أسماء الله وآياته إلحاداً أعظم من إلحاد اليهود والنصارى " ^(٢) .

وقد وكان ابن سينا في صغره يسمع من جلساء والده في داره أحاديثاً تدور حول النفس والعقل على ما جرت به عادة الشيعة . وقد تقسّم أن ابن سينا درس المنطق وشيئاً من كتب الفلاسفة على شيخه أبي عبدالله الناطلي الذي تخرّج في مدرسة الفارابي المعروف حينها بالحكمة والفلسفة والمنطق ^(٣) .

* الحاكم بأمر الله : منصور بن نزار بن معد الفاطمي (٣٧٥ - ٤١١ هـ) من خلفاء الدولة الفاطمية بمصر أدعى الألوهية ، وطغى وأفسد العباد والبلاد ، وله أظوار غريبة ، اغتيل فارتاح الناس غلاكه .
أنظر : الحاكم بأمر الله / محمد عبدالله عان .

(١) درء التعارض / ١ / ٢٨٩

(٢) درء التعارض / ١ / ٢٨٩ - ٢٩٠

(٣) طبقات الأطباء ، ص (٤٣٨)

ثانياً : نظريات أرسطو ومقولاته (المعلم الأول للشر)

شغف ابن سينا بأرسطو شغفاً عظيماً ، وأقبل على مصنفاته في الأخلاق والسياسة والمنطق يقرأها بتدبر وتأمل ، ويقول عن نفسه : " أعدت قراءة كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو أربعين مرة حتى صار لي محفوظاً وأنا مع ذلك لا أفهمه " (١) .

وارسطو — مع شهرته بأنه يؤمن بوجود الله — إلا أنه يقول بقدم العالم ، وأغلب نظرياته مبنية على أديان المشركين الصابئين القائلين بالسحر الطبيعي والسحر الروحاني ، وله عبارات ينفي بها صفات الله تعالى ، يزعم فيها أنه ليس لله صفة ثبوتيه ، بل صفاته إما سلبية وإما إضافية ، وهذا كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله تعالى — هو مذهب القرامطة الباطنية القائلين بدعوة الكواكب والشمس والقمر والسجود لها .. وقد زعم أرسطو أن الله تعالى يحرك العالم حركة شوق كتحرريك المحبوب لمحبه ، والإمام المقتدى به للمؤتم المقتدي به ، فأنه عنده علة بهذا الاعتبار ، فيكون الله — سبحانه وتعالى — لم يبدع الكون وحركته (٢) .

ومع أن ابن سينا قد خالف شيخه أرسطو في كثير من نظرياته ، إلا أنه وافقه في كثير من مقولاته الشهيرة ونقل عنه في أشهر كتبه مثل : (النجاة) و (الإشارات) و (الشفاء) : " كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم " (البقرة ١١٨) .

ولا أجزم أن ابن سينا كان يجهل أن الفلاسفة اليونانية إذا دهمتهم نازلة كانوا يذهبون إلى قبر (أرسطو) لحصول المدد والفيض من قبره (٣) وقد صدق من قال : (وقعوا في هوة تترامى بهم أرجاؤها) (٤) .

وقد بهرت فما تخفى على أحد إلا على أحد لا يعرف القمرا (٥)

(١) وفيات الأعيان ٢ / ١٥٥ .

(٢) درء التعارض ١ / ٣٩٧ .

(٣) المطالب العلية ٧ / ٢٢٨ .

(٤) مجمع الأمثال للميداني ٣ / ٤٤٢ ، والهمزة : الحفرة البعيدة القمر .

(٥) الفائل : " ذو الرمة " غيلان بن عفة ، شاعر (٧٧-١١٧ هـ) والبيت من قصيدة في مدح عمر بن هبيرة .

ثالثاً : فلسفة الفارابي (المعلم الثاني للشر) .

يعد (الفارابي) من كبار ائمة الملاحدة والزنادقة اللعابين بالإسلام ، وهو الذي زعم أن الفيلسوف أكمل من النبي ، وقد أطلق عليه شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله تعالى — لقب (الضال الكافر) . وهو شيخ المتفلسفة ، تخرج ابن سينا على كتبه وكفرياته ، وكان قبوريا وثنيا ، من أتباع الباطنية الإسماعيلية . من طاماته أنه زعم أن العقل يستبعد معاد الأبدان ، فلا بعث ولا نشور ولا حشر ولا حساب ولا عقاب في ميزان المعلم الثاني للشر . وزعم أيضاً أن النبوة تخيل وخداع لا حقيقة لها ^(١) . وقد نهل ابن سينا من معينه ، وتضلع من خرافاته ، نعوذ بالله من الخذلان ! .

رابعاً : المصطلحات الكلامية الشائعة :

لا شك أن ترجمة المسلمين لكتب الفلسفة والمنطق قد جرت عليهم ويلات كثيرة . ومن أعظم البلايا أن ينظر المسلمون إلى حضارات وثقافات الأمم الأخرى بعين الإكبار والإعجاب . وقد أدى ذلك إلى الاشتغال بالكيمياء والتنجيم كما ثبت عن الأمير الأموي (خالد بن يزيد ^(٢)) الذي أعتزل السياسة وركن إلى النظر في علوم العجم بعين الرضا والفخر .

وقد ظهرت طائفة ممن ينتسبون إلى الإسلام وقالوا : إن العلوم الإلهية غامضة خفية ، ولا يمكن معرفتها إلا عن طريق المنطق . فانبرى جماعة من المتكلمين على علوم القوم فترجموها ونشروها وأظهروها للناس بعُجْرها وبجرها ، ونتج عن هذا كله ظهور مصطلحات كلامية اختلطت بكتب أهل السنة والجماعة وفشت وانتشرت في المعاهد والمدارس وحلقات العلم .

(١) الفارابي / محمد بن طرخان ، أبو نصر ، تركي الأصل ، موطنه ومولده في (فاراب) بخراسان سنة (٢٥٩هـ) وكانت وفاته

سنة (٣٣٩) انظر بعض كفرياته في : مجموع الفتاوى ٦٧/٢ — ٨٦ ، ودرء التعارض ١ / ١٠ ، وإغائة اللهفان ٢ / ٣٧٢ — ٣٧٣ .

(٢) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي ، له اشتغال بالفلسفة والطب ، توفي في دمشق سنة (٩٠هـ) .

وهذه بعض تلك المصطلحات : - (١)

- | | | | |
|-------------------|-------------------------|---------------------|-------------|
| ١ - الأعراض | ٢ - الجسم | ٣ - البداء | ٤ - التركيب |
| ٥ - الجهة | ٦ - الجوهر | ٧ - الجبر | ٨ - الحد |
| ٩ - العقل الفعّال | ١٠ - العلة الأولى | ١١ - العلة الفاعلة | |
| ١٢ - القوة الخفية | ١٣ - القوة العليا | ١٤ - القوة المدبّرة | |
| ١٥ - التصليّة | ١٦ - السرّ الجامع | ١٧ - معدن الأسرار | |
| ١٨ - الطواسين | ١٩ - لفظي بالقرآن مخلوق | | |
| ٢٠ - الاصطلام | ٢١ - السكر | | |
| ٢٢ - الغوث | ٢٣ - الذات | | |
| ٢٤ - بائن | ٢٥ - الوحي الداخلي | ٢٦ - الفيض | |
| ٢٧ - الواجب | ٢٨ - الممكن | ٢٩ - القديم | |
| ٣٠ - واجب الوجود | ٣١ - العقل الأوّل | ٣٢ - الطفرة . | |
- وقد وظّف ابن سينا هذه المصطلحات في كل مؤلفاته وحجب بها كثيراً من الحق لنصرة باطله ! .

(١) أشرت إلى معاني بعض تلك المصطلحات في آخر الكتاب ، فراجعها إن شئت .
قلت : روى نصر المقدسي في كتابه " (الحجة على تارك المحجة) " قصة إخراج كتب اليونان إلى الإسلام ، وذلك أن ملك الروم في عهد (يحيى بن خالد بن برمك) جمع الكتب اليونانية وبين عليها بناءً مطمساً بالحجر والجصّ حتى لا يتوصل إليها خوفاً على قومه من ضررها . ولما أفضت رئاسة دولة بني العباسي إلى يحيى بن خالد ، وكان زنديقاً ، علم بخطر الكتب فاحتال في طلبها حتى أخذها ، ونادى الزنادقة إلى ترجمتها ، وبما ترجموه منها ، كتاب : حد المنطق . انظر : صون المنطق والكلام للسروطي ص (٧ - ٨)
وكشف الظنون ٢ / ١٥٩٤ وفيه أنه أول من عني بتعريب (المسطي) من كتب المنطق .
وقد ولد يحيى سنة (١٢٠هـ) وتوفي (١٩٠هـ) في نكبة البرامكة الشهيرة .
انظر للفاطمة : إرشاد الأريب ٢٧٢/٧ . والبيان المغرب ٨٠/١ . والبداية والنهاية ٢٠٤/١٠ .

ورحم الله الشافعي حين قال : " لأن يبطل المرء بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك به ، خير من النظر في الكلام ، فإنني والله اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننته قط " (١) .

ورحم الله الإمام أحمد القائل : " لا تجالسوا أهل الكلام وإن ذبوا عن السنة " (٢) .

* مؤلفات ابن سينا :

بلغت مؤلفات ابن سينا ست وسبعون ومئتا كتاباً ورسالة . وقد تناولت مؤلفاته موضوعات عديدة من المنطق والفلسفة والإلهيات والطبيعية والأخلاق والسياسة والتصوف والطب والفلك والرياضيات واللغة والنفس والشعر (٣) .
وهذه أهم ما وقفت عليه من مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة :

أ — في المنطق :

- ١ — منطق المشرقيين (ط) .
- ٢ — أقسام العلوم العقلية (ط) .
- ٣ — كتاب الأوساط الجرجاني في المنطق (ط) .
- ٤ — الموجز في المنطق (ط) .
- ٥ — رسائل الحدود (ط) .
- ٦ — أسرار الحكمة المشرقية (ط) .

(١) الخلية لأبي نعيم ١١/٩ . ودم الكلام للهروي ٣٥٥ .. وتبين كذب المفترى لابن عساكر ٣٣٥ .

(٢) مناب الإمام أحمد لابن الجوزي ٢٠٥ .

(٣) يمكن الرجوع إلى المؤلفات التي استوفت الحديث عن مؤلفات ابن سينا ، مثل :

— مؤلفات ابن سينا ، جورج فنواتي .

— الوافي بالمؤلفات ٤٠٤/١٢ — ٤٠٦ .

— عيون الأنباء ٤٥٧ — ٤٥٩ .

— معجم المطبوعات ١٢٧ — ١٣٢ .

— المهرجان الألفي لابن سينا (بحوث ومقالات)

— هدية العارفين ٣٠٨/١ .

ب : في الفلسفة والإلهيات : (١)

- ١ - الشفاء (ط) (٢) .
- ٢ - النجاة (ط) .
- ٣ - الإشارات (ط) .
- ٤ - الإنصاف (خ) .
- ٥ - عيون الحكمة (ط) .
- ٦ - التعليقات (ط) .
- ٧ - الرسالة الأضحوية (ط) .
- ٨ - رسالة إثبات النبوات (ط) .
- ٩ - أسرار الصلاة (ط) .
- ١٠ - المعاد (خ) .
- ١١ - رسالة في معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله .
- ١٢ - رسالة التوحيد .
- ١٣ - رسالة في إثبات النبوة .
- ١٤ - رسالة القضاء والقدر (٣) .

(١) اشار بعض المؤرخين إلى أمر مهم يتعلق بثقافة ابن سينا وهو أنه لما عالج ابن سينا الأمر (نوح بن منصور) والتحق بمحاشيته ، فتح له الأمر مكتبته التي قال فيها ابن سينا : (ورأيت فيها من الكتب ما لم يقع اسمه إلى كثير من الناس قط ، ولا رأيته قبل ، ولا رأيته أيضاً من بعد ، فقرأت تلك الكتب وظفرت بفوائدها ، وعرفت مرتبة كل رجل في علمه بمؤراد الله أن تحرق تلك المكتبة أو تحرق ! كما يقول ابن خلكان : (وكان يقال : إن أبا علي توصل إلى احراقها لينفرد بمعرفة ما حصله منها وينسب إلى نفسه) ويقول ابن كثير : (ويقال إنه عجزا بعض تلك الكتب إلى نفسه) .

قلت : هذه دعوة إلى من حذقوا التاريخ ، ومازوا لأبوابه من قسوره ، وكان هم من الغيرة عليه ما يحفزهم إلى الأخذ بيده ، أن يكشفوا لنا حقيقة هذه الرواية ، ويوضحوا الحق فيها لتكون على بصيرة من تاريخ أمتنا وحضارتنا .

أنظر لرفيات ١٥٨/٢ ، والبدلية ٤٥/١٢ . وإسبار العلماء (ص ٢٧١) .

(٢) روى ابن العماد عن اليافعي قوله : (طالعت كتابه الشفاء ، وما أجدره بقلب الفاء قائماً لاشتغالته على فلسفة لا ينشرح لها قلب متدين والله

أعلم بخاتمته وصحة توبته) .

شذرات الذهب ٣ / ٢٣٧ .

(٣) المصدر السابق وما قبله .

ج : في النفس :

- ١ - رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها (ط) .
- ٢ - رسالة في أحوال النفس (ط) .
- ٣ - رسالة في بقاء النفس الناطقة (ط) .
- ٤ - رسالة في تعلّق النفس بالبدن (ط) .
- ٥ - مقالة في النفس (ط)

د : في السياسة والأخلاق والتصوّف :

- ١ - كتاب السياسة (ط) .
- ٢ - رسالة الأرزاق (خ) .
- ٣ - رسالة العشق (ط) .
- ٤ - رسالة الأخلاق (خ) .
- ٥ - رسالة العهد (خ) .
- ٦ - كتاب البر والإثم (خ) .^(١)

هـ : في التفسير :

- ١ - تفسير سورة النور (خ) .
- ٢ - تفسير سورة الأعلى (خ) .
- ٣ - تفسير سورتي المعوذتين (خ)^(٢)

(١) انظر السابق .

(٢) انظر السابق .

و : القصص الفلسفي :

- ١ - حي بن يقظان (ط) .
- ٢ - سلامان وأبسال (ط) .
- ٣ - رسالة الطير (ط) .

ز : الشعر :

- ١- القصيدة العينية في النفس (ط) . (١)
- ٢ - أرجوزة في المنطق (ط) .
- ٣ - أرجوزة في تدبير الطفل قبل الولادة وبعدها (ط) .

ح : في اللغة :

- ١ - لسان العرب (عشر مجلدات) (خ) .
- ٢ - أسباب حدوث الحروف (خ) (٢)

(١) انظرها بتامها في ثنايا هذا الكتاب ص (٨٤) .

(٢) هدية العارفين ١ / ٣٠٨ .

قلت : وقد أشاد الأستاذ مشهور بن حسن آل سلمان ببارك الله في علمه ونفع به - إلى مجموعة من رسائل ابن سينا ، مثل :

- الحدود في الإسلام - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مجلد ٤٨ - ١٩٧٣ م) ، (ص ٩٧٢ - ٩٧٩)

- رسائل ابن سينا إلى أبي الريمان البيروني - مجلة التاريخ لكلية الآداب ، انقره (١٩٧٤ م) (ص ٢٢١ - ٣٠١)

- الرسالة النوروزيه - نواذر المخطوطات ٢ / ٢٧ - ٤٣ (سنة ١٢٩٨ هـ)

- فن الشعر - في كتاب (أرسطو طاليس) عبدالرحمن بدوي - القاهرة ، سنة (١٩٥٣ م)

- أرجوزة في أسباب الحميات - مجلة المورد (المجلد ١٤ ، العدد ٤) (ص ٢٤٣ - ٢٦٦) سنة ١٤١٠ هـ -

انظر الإشارات (الفهرس العام)

وفي كتاب (عيون الأنباء) (ص ٤٤٠) أسماء بعض الرسائل التي لم أذكرها ، ومنها رسالة بعنوان (علم زيد غير علم عمرو)

فراجع إن شئت .

المبحث الثالث

﴿ نقد عقيدة ابن سينا في أنواع التوحيد الثلاثة ﴾

أ - نقد عقيدته في توحيد الربوبية :

توحيد الربوبية هو : إفراد الله تعالى بالخلق ، والملك ، والتبدير . قال الله تعالى : ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو ﴾ (فاطر : ٣) وقال تعالى : ﴿ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ﴾ (المؤمنون : ٨٨) وقال تعالى : ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ (الأعراف : ٥٤) .

وقد كان المشركون الذين قاتلهم النبي - صلى الله عليه وسلم - واستباح دماءهم وأموالهم ونساءهم وذريتهم ، كانوا يقرون بهذا التوحيد : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ (الزخرف : ٩)

لكن هذا لم ينفعهم ، لأنهم مشركون في توحيد الألوهية .

١ - إذا تأملنا في مصنفات ابن سينا وبقننا النظر في اعتقاده بهذا النوع من التوحيد تبين لنا أنه لا يقيم وزناً لتوحيد الربوبية لأنه يعتقد بوجود متصرف مع الله عز وجل في تدبير الكون وفي الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة وجلب الخير ودفع الشر ، - سبحانه وتعالى عن ذلك - .

ويكفي لاثبات ذلك أن ابن سينا يعتقد ما يعتقده الفلاسفة الذين يقولون بأنه لم يصدر عنه إلا واحد بسيط ، وأن مصدر المخلوقات كلها : العقول والنفوس ، وأن مصدر هذا العقل الفعال هو رب كل ما تحته ومدبره . وهذا يتضمن من التعطيل وجدد الألوهية والربوبية نسبة الخلق إلى غيره سبحانه وتعالى ^(١) !!

وسبق أن أشرنا في أول هذه الرسالة أن (الإسماعيلية) التي ثبت بالدليل إنتساب ابن سينا لها تزعم أن الله - سبحانه وتعالى - لم يخلق الخلق ، وأن الذي يرزقهم ويدير شؤونهم هو (العقل الأول) ^(٢) .

(١) شرح الطحاوية للحنفى ٢٠ - ٢٢ . والجواب الكمال لابن القيم ص (٥)

(٢) بأن ذكر معناه في آخر الكتاب .

وزعموا — قَبَّحهم الله — أن العقل هو منزل الوحي على الأنبياء . وعليه فهم يزعمون أن الوحي ما قبلته نفس الرسول من العقل ، وقبله العقل من أمر باريه .^(١)

ولا شك أن تأويلاتهم للجنة والنار والعقاب والعذاب وكافة أصول الشريعة كفيفة بنسف توحيد الربوبية لأن الدين حينئذ أصبح تبعاً لأهوائهم ونزعاتهم ورغباتهم ، فلا قيمة له في قلب العبد .

" والفلاسفة قال بعضهم : إن الله — تعالى — جوهر ، وقال بعضهم : بلا هو ؛ علة لكل شيء . فاثبتوا الشيء معلولاً .. ومنهم من سماه طبيعة ، وقال آخرون : بل نفساً ، وذهب بعضهم إلى أنه ظلمة ، وآخرون إلى أنه نور وظلمة ، والكل على خطأ ، لأنه ليس كمثل شيء ، والسبب الذي ألجأهم إلى القول بما قالوه ، أنهم وضعوا لمذاهبهم قوانين ومقدمات ، وشرحوا على أفعال العالم الطبيعي وقووه ، وتعمقوا فيما لم يجدوا له أصلاً — واصلوا شيئاً لم يجدوا له فرعاً ، والذي افسدوه أكثر مما أصلحوه ، لأنهم شرحوا عن أفعال العالم الطبيعي ، ونظروا استحالاته ، فلم يصلح عندهم له كون ولا صانع ، ولا يثبت عندهم للباري سبحانه أيئية موجودة على الإطلاق ، فعادوا يقولون بالظن والحساب إن كان هذا العالم مصنوعاً فإن صانعه لم يسبقه ، ولم يتأخر كون العالم عن وجود موجد ، بل العالم وإن كان مصنوعاً ، فإنه من الصانع كالإسخان من النار ، والضوء من الضوء ، ولم يبالوا اصح لهم التوحيد أم لم يصح ، مع إقرارهم أن العالم مصنوع قديم ، وهذا تعطيل ظاهر ... وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى عظيم من عظماء المشركين رسلاً يدعوهم إلى الله تعالى ، فلما بلغه ذلك وأعلمه ، قال : أخبرني عن إلهك هذا أهو من فضة أم من ذهب أم من نحاس ؟

فاستعظم ذلك الرسول ، ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره بذلك وأعلمه بمقالته ، فقال له : ارجع إليه وأدعه ، فوجده قد أصابته صاعقة ، فعاد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد نزل : ﴿ وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال ﴾ (الزمر ١٣) (١) .

قلت : وهذا بعينه كلام ابن سينا في سائر كتبه ومؤلفاته ، يعتقد ما أعتقد الفلاسفة الملاحدة أتباع أرسطو الملحد الذي كان يقول : إن الأرض كوكب في جوف هذا الفلك ، وأن في كل كوكب عوالم كما في هذه الأرض ، وأنهاراً وأشجاراً وأنكر الصانع وقال بقدم العالم (٢) .

قال شيخ الإسلام — رحمه الله تعالى — : (وهؤلاء — أي الجهمية — كالمعطلة الدهرية الطبايعية من فلاسفة اليونان ونحوهم الذين ينكرون ما سوى هذا الوجود الذي يشاهده الناس ويحسونه ، وهو وجود الأفلاك وما فيها .

وهؤلاء الذين ذكر ابن سينا قولهم في (إشارات) حيث قال : (قال قوم : إن هذا الشيء المحسوس موجود لذاته واجب لنفسه ، لكنك إذا تذكرت ما قيل في شرط واجب الوجود لم تجد هذا المحسوس واجباً (٣) !!!

وهذا هو القول الذي أظهره فرعون ، وإليه يعود عند التحقيق قول أهل الوحدة . لكن هؤلاء يعتقدون أنهم يثبتون الخالق ، وإن وجوده وجود المخلوق ، فهم متناقضون . ثم إن (جهنم بن صفوان) ردّ عليهم كرد أرسطو وابن سينا وأمثالهم من المشائين على الطبيعيين منهم ، وهؤلاء يثبتون وجوداً عقلياً غير الوجود المحسوس ، ويعتقدون أنهم بهذا الرد أبطلوا قول أولئك ، كما تقدم حكاية قول ابن سينا لما تكلم على الوجود وعالله وقال : (قد يغلب على أوهام الناس أن الوجود هو

(١) فتاوى ابن تيمية ١١ / ٤٣٠ .

(٢) تليس إبليس ص (٤٧) .

(٣) درء التعارض ١٦٨/٥ .

المحسوس) وأبطل هذا القول بإثبات الكليات ، وقد تقدّم التنبيه على فساد هذه الحجة ، وأن الكليات تكون في الأذهان لا في الأعيان " (١) .

وقال — رحمه الله — : " ولهذا كان الذين اتبعوا هؤلاء من المتأخرين ، كالرازي والأمدي — وغيرهم ، قد يتبين لهم ضعف هذا الأصل الذي بنوا عليه حدوث الأجسام ، ويترجح عندهم حجة من يقول بدوام فاعلية الباري تعالى ، وهم يعلمون أن دين المسلمين واليهود والنصارى : أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وأن الله خالق كل شيء ، لكن قد لا يجمعون بين ذلك وبين دوام فاعلية الباري ، لكنهم لم يبنوا على ثبوت الأفعال القائمة به المقصورة المراد لها ، فييقون دائرين بين مذهب الفلاسفة الدهرية القائلين بقدم الأفلاك ، معظمين لأرسطو واتباعه كابن سينا ، وبين مذهب أهل الكلام القائلين بتناهي الحوادث ، وربما رجّحوا هذا تارة وهذا تارة ، حتى قد يصير الأمر عندهم كأن دين المسلمين ودين الملاحدة عدلاً جهلاً ، أو ربما مالوا أحياناً إلى دين الملاحدة ، حتى قد يصنّفون في الشرك والسحر ، كعبادة الكواكب والأصنام " (٢) .

قلت : لا بُد أن نقر بأنه لا يوجد طائفة بعينها قالت بوجود خالقين متكافئين . فإن الفلاسفة الدهرية الذين يقولون بأن حركة الأفلاك أو حركات النفوس تحدث مخلوقات ، هم مقرونون بأن الخالقين مع تعددهم ليسوا في رتبة واحدة من حيث الصفات والأفعال ، والفلاسفة يرون أن هذه الأفلاك وما شابهها مخلوقة لخالق واحد وأنها ليست غنية عنه ، فيكون هذا الخالق خالقاً لما ينتج عنها .

ولا يعني هذا أننا ندافع عن الفلاسفة ، بل المقصود ذكر الحق والعدل مع الخصم والاعتراف بأن له حجة وافقت بعض الصواب . وفي الوقت ذاته لا يتم الإقرار بكمال توحيد الربوبية ما دام العبد يعترف بوجود خالقين مع أن التصرف والتدبير لأحدهما ، فتأمل (وشرك هؤلاء المتفلسفة وتعطيهم أعظم بكثير من شرك القرية

(١) الإشارات والتبسيطات لابن سينا ٤ / ٥٣١ — ٥٣٢ . ودرء التعارض ٥ / ١٦٨

(٢) فتاوى ابن تيمية ١٣ / ٢٣٠ .

وتعطيلهم ، فإن هؤلاء يجعلون الفلك هو المحدث للحوادث التي في الأرض كلها ، فلم يجعلوا لله شيئاً أحدثه ، بخلاف القدرية ، فإنهم أخرجوا عن إحداثه أفعال الحيوان وما تولد عنها ، فقد لزمهم التعطيل من إثبات حوادث بلا محدث ، وتعطيل الرب عن إحداث شيء من الحوادث ، وإثبات شريك فعل جميع الحوادث .. فتبين أنهم في الحقيقة لا يثبتون للرب فعلاً أصلاً ، فهم معطلة حقاً . وأرسطو وأتباعه إنما اثبتوا العلة الأولى من جهة كونها علة غائبة كحركة الفلك ، فإن حركة الفلك عندهم بالاختيار كحركة الإنسان ، والحركة الاختيارية لا بد لها من مراد ، فيكون هو مطلوبها ، ومعنى ذلك عندهم أن الفلك يتحرك للتشبه بالعلة الأولى ، كحركة المؤتمر بإمامه ، والمقتدى بقدوته ، وهذا معنى تشبيهه بحركة المعشوق للعاشق ، ليس المعنى أن ذات الله محركة للفلك ، إنما مرادهم أن مراد الفلك أن يكون مثله بحسب الإمكان ، وهذا باطل من وجوه " فقالوا " إن العلة الأولى وهي التي يتحرك الفلك لأجلها علة له تحركه ، كما تحرك العاشق للمعشوق ، بمنزلة الرجل الذي اشتهى طعاماً فمدَّ يده إليه ، أو رأى من يحبه فسعى إليه ، فذاك المحبوب هو المحرك ، لكون المتحرك أحبه ، لا لكونه أبدع الحركة ولا فعلها . وحينئذ فلا يكون قد أثبتوا لحركة الفلك محدثاً أحدثها غير الفلك ، كما لم تثبت القدرية لأفعال الحيوان محدثاً أحدثها غير الحيوان . ولهذا كان الفلك عندهم حيواناً كبيراً ، بل يقولون : إن الفلك يتحرك للتشبه بالعلة الأولى ، لأن العلة الأولى معبودة له محبوبة له ، ولهذا قالوا : إن الفلسفة هي التشبه بالإله على حسب الطاقة . ففي الحقيقة ليس عندهم الرب : لا إلهاً للعالم ، ولا رباً للعالمين ، بل غاية ما يثبتونه أنه يكون شرطاً في وجود العالم ،

وأن كمال المخلوق في أن يكون متشبهاً به ، فهذا هو الألوهية عندهم ، وذلك هو الربوبية . ولهذا كان قولهم شراً من قول اليهود والنصارى ، وهم أبعد عن المعقول والمنقول منهم ... وحقيقة قول القوم الجحود لكون الله رب العالمين ، بل غايتهم أن يجعلوه شرطاً في وجود العالم ، وفي التحقيق هم معطلة لكون الله رب العالمين ، كقول من قال : إن الفلك واجب الوجود بنفسه منهم ... وإذا قدر أن الفلك يتحرك باختياره ، من غير أن يكون الله خالقاً لحركته ، فلا دليل على أن المحرك له علة معشوقة يتشبه بها ، بل يجوز أن يكون المتحرك هو المحرك وهذا التوحيد كان يقر به المشركون ، الذي قال الله عنهم : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾ (لقمان: ٢٥)

وقال تعالى : ﴿ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، سيقولون الله ﴾ (المؤمنون : ٨٦ - ٨٧) . وقال عنهم : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ (يوسف : ١٠٦) .

قال طائفة من السلف : يقول لهم : من خلق السموات والأرض ؟ فيقولون : الله ، وهم مع هذا يعبدون غيره " (١) .

وصدق الله إذ يقول : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ (يوسف ١٠٦)

٢ - قال ابن سينا بإثبات (قدم العالم) وهذا بلا شك خلاف مذهب أهل السنة والجماعة الذين يقولون إن العالم حادث . وإذا ثبت هذا الاعتقاد عن ابن سينا فيكون قد أبطل توحيد الربوبية لعدة اعتبارات :

أ (تضمن القول بقدم العالم تعطيلاً للرب - سبحانه وتعالى - وإنكاراً للخالق عز وجل .

يقول ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : (وهؤلاء الفلاسفة يتضمن قولهم في الحقيقة أنه لم يخلق ، فإن ما يثبتونه من الخلق إنما يتضمن التعطيل ، فإنه على قولهم لم يزل الفلك مقارناً له أزلاً وأبداً ، فامتنع حينئذ أن يكون مفعولاً له ، فإن الفاعل لا بُد أن يتقدم على فعله)^(١) .

ب (أن القول بقدم العالم ، وصدور هذا العالم عن الخالق تعالى صدور المعلول عن العلة لهو من أشنع التنقص والشم لله - سبحانه وتعالى - حيث أدعى أصحاب تلك المقالة تولّد هذا العالم عن الرب عز وجل ، فخرقوا له بنين وبنات بغير علم (وقولهم إن النفوس والعقول معلولة له ، ومتولدة عنه أعظم كفراً من قول من قال من مشركي العرب : إن الملائكة بنات الله)^(٢) .

يقول ابن القيم - رحمه الله تعالى - قوله تعالى ﴿ خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ﴾ (السجدة : ٤) : يتضمن إبطال قول الملاحدة القائلين بقدم العالم وأنه لم يزل ، وأن الله سبحانه لم يخلقه بقدرته ومشيتته ، ومن أثبت منهم وجود الرب جعله لازماً لذاته أزلاً وأبداً غير مخلوق ، كما هو قول ابن سينا والنصير الطوسي وأتباعها من الملاحدة الجاحدين لما أتفقت عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام - والكتب شهدت به العقول والفطر^(٣) .

(١) مجموع الفتاوى ٢٢٩/١٨ .

(٢) الصفة ١ / ٨ .

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية ٩٥ .

ج (القول بقدّم العالم تردّه العقول بداهةً ، وتأباه الفطر السليمة والنفوس الصحيحة .
فقد ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : (كان الله ولم يكن شيء غيره ،
وكان عرشه على الماء)) * .

يقول الحافظ ابن حجر — رحمه الله — : " وفيه أن جنس الزمان ونوعه حادث ، وأن
الله أوجد هذه المخلوقات بعد أن لم تكن ، لا عن عجزه عن ذلك بل
مع القدرة " (١) .

ورحم الله الفضيل بن عياض إذ يقول : " وكذلك نقطع على كفر من قال بقدّم العالم ،
أو بقاءه ، أو شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية " (٢) .
ويقول ملا على قارئ — رحمه الله تعالى — : " فمن واظب طول عمره على
الطاعات والعبادات مع اعتقاد قدّم العالم لا يكون من أهل القبلة " (٣)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله تعالى — : " والمشهور عن القائلين بقدّم
العالم أنه لا صانع له ، فينكرون الصانع — جل جلاله — . وقد ذكر أهل المقالات
أن أول من قال من الفلاسفة بقدّم العالم "أرسطو" صاحب التعاليم الفلسفية : المنطقي
، والطبيعي ، والإلهي . وأرسطوا وأصحابه القنماء يثبتون في كتبهم العلة الأولى ،
ويقولون : إن الفلك يتحرك للتشبه بها ، فهي علة له بهذا الاعتبار ، إذ لولا وجود
من تشبه به الفلك لم يتحرك ، وحركته من لوازم وجوده ، فلو بطلت حركته ، ففسد ،
ولم يقل أرسطو : إن العلة الأولى أبدعت الأفلاك ، ولا قال هو موجب بذاته ، كما
يقوله من يقول من متأخري الفلاسفة كابن سينا وأمثاله ، ولا قال : إن الفلك قديم
وهو ممكن بذاته ، بل كان عندهم ما عند سائر العقلاء أن الممكن هو الذي
يمكن وجوده وعدمه ، ولا يكون كذلك إلا ما كان محدثاً ، والفلك عندهم
ليس بممكن بل هو قديم لم يزل وحقيقة قولهم إنه واجب لم يزل ولا يزال ،

* أخرجه البعاري ، كتاب بدء الخلق ، باب رقم (٣١٩١) . وأحمد في مسنده (٤٣١/٤) والترمذي في كتاب الخلق رقم (٣٩٥١) وانظر :

مجموع الفتاوى ٥٥١/٦ ، و ٢١٦/٦ .

(١) فتح الباري ٢٩٠/٦ .

(٢) الشفا ٢٠٤/٢ — ٦٠٦ .

(٣) شرح الفقه الأكبر ٢٣٠ .

فلهذا لا يوجد في عامة كتب الكلام المتقدمة القول بقدم العالم ، إلا عن ينكر الصانع . فلما أظهر من أظهر من الفلاسفة كابن سينا وأمثاله أن العالم قديم عن علة موجبة بالذات قديمة ، صار هذا قولاً آخر للقائلين بقدم العالم ، أزالوا به ما كان يظهر من شناعة قولهم من إنكار صانع العالم ، وصاروا أيضاً يطلقون ألفاظ المسلمين من أنه مصنوع ومحدث ونحو ذلك . ولكن مرادهم بذلك أنه معلول قديم أزلي ، لا يريدون بذلك أن الله أحدث شيئاً بعد أن لم يكن ، وإذا قالوا : إن الله خالق كل شيء ، فهذا معناه عندهم ، فصار المتأخرون من المتكلمين يذكرون هذا القول ، والقول المعروف عن أهل الكلام في معنى حدوث العالم الذي يحكونه عن أهل الملل كما تقدم ، كما يذكر ذلك الشهرستاني والرازي والآمدي وغيرهم ^(١)

وقال — رحمه الله — : " الوجه الثالث عشر — إن الغلط في معنى هذا الحديث (كان الله ولم يكن شيء قبله) هو من عدم المعرفة بنصوص الكتاب والسنة ، بل والمعقول الصريح ، فإنه أوقع كثيراً من النظائر واتباعهم في الحيرة والضلال ، فإنهم لم يعرفوا إلا قولين : قول الدهرية القائلين بالقدم ، وقول الجهمية القائلين بأنه لم يزل معطلاً عن أن يفعل أو يتكلم بقدرته ومشيئته . ورأوا لوازم كل قول تقتضي فساده وتناقضه ، فبقوا حائرين مرتابين جاهلين ، وهذه حال من لا يخصى منهم ، ومنهم من صرح بذلك عن نفسه كما صرح به الرازي وغيره ، ومن أعظم ذلك أنهم نظروا في حقيقة قول الفلاسفة فوجدوا أنه لم يزل المفعول المعين مقارناً للفاعل أزلاً وأبداً ، وصريح العقل يقتضي بأنه لا بد أن يتقدم الفاعل على فعله ، وأن تقدير مفعول الفاعل مع تقدير أنه لم يزل مقارناً له لم يتقدم الفاعل عليه ، بل هو معه أزلاً وأبداً : أمر يناقض صريح العقل . وقد استقر في الفطر أن كون الشيء المفعول مخلوقاً يقتضي أنه كان بعد أن لم يكن، ولهذا كان ما

أخبر الله به في كتابه من أنه خلق السموات والأرض مما يفهم جميع الخلائق أنهما حدثتا بعد أن لم تكونا ، وأما تقدير كونهما لم يزالا معه مع كونها مخلوقين له فهذا تنكره الفطر ، ولم يقله إلا شرنمة قليلة من الدهرية كابن سينا وأمثاله " (١) .

قلت : مما تقدم يتأكد لكل منصف أن ابن سينا قد هدم توحيد الربوبية من جملة اعتقاده ، فما نصيب القسمين الآخرين ، هل أثبتتهما أم نفاهما ؟ .

ب - نقد عقيدته في توحيد الألوهية :

توحيد الألوهية : هو إفراد الله - سبحانه وتعالى - بالعبادة ، بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحداً يعبد به ويتقرب إليه ، ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر . وإن أقر بتوحيد الربوبية ، وبتوحيد الأسماء والصفات .

قال الله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطلغوت ﴾ (النحل : ٣٦)

وثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا) .

والشرك في الألوهية على قسمين :

- ١ - شرك التعطيل مثل شرك فرعون المتضمن إنكار الخالق .
- ٢ - شرك التمثيل مثل شرك اليهود والنصارى ، بدعوة (عزيز) ابنأ الله ، و(المسيح) ابنأ الله ، وطاعتهم الرهبان في تحليل ما حرم الله ، وتحريم ما أحل الله .

وشرك التعطيل ثلاثة أنواع :

- ١ - تعطيل المصنوع عن صناعته كقول المجوس بأن النور إله . وإنه خالق الخير .
- ٢ - تعطيل الله عن كماله المقدس ، إما بنفي صفاته أو إثباتها على وجه التمثيل .

(١) مجموع الفتاوى ٢٢٥/١٨ وأنصح بمراجعته للوقوف على فوائده النفيسة .

• منقذ عليه .

- ٣ — تعطيل الله عن عبادته وذلك بعبادة غيره معه ^(١) .
وعلى ضوء ما سبق سنناقش ابن سينا في مسألتين لهما صلة بتوحيد
الآلوهية ، وهما :
١ — حقيقة التوحيد ^(٢) .أ
٢ — نظرية الفيض .

١ — حقيقة التوحيد (عند ابن سينا) :-

ذكرنا في مبدأ هذه الرسالة أن الإسماعيلية — وابن سينا من أشهر أقطابها —
ذهبت إلى النفي المطلق لصفات الله — سبحانه وتعالى — وإنكار أية صفة له
— سبحانه — من التي وصف بها نفسه ، لأنه — تعالى — كما يزعمون — فوق
متناول العقل ، والعقل عاجز عن إدراك كنهه ، فنفي الصفات عن الله اعتقاد
أساس في التوحيد عند الإسماعيلية ، لأن اثباتها — حسب زعمهم — يعني عدم
التوحيد ، ولهذا نرى الحامدي^٥ ينفي جميع الصفات الإلهية عن الله سبحانه : " فلا
يقال عليه حي ، ولا قادر ، ولا عالم ، ولا عاقل ، ولا كامل ، ولا تام ، ولا فاعل
، لأنه مبدع الحي القادر العالم التام الكامل الفاعل ، ولا يقال له ذات لأن كل ذات
حامله للصفات .. " ^(٣) .

(١) الحجاب الكلي ص ١١٤ — ١١٥ . وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٣٠) . ونخريد التوحيد ص ١٧ — ١٨ .

(٢) ومن طامات ابن سينا أنه ينصح من يذهب إلى القبور لزيارتها بأن يتوجه الزائر بروحه إلى الميت ، ويعكف همته عليه ويوجه قصده وإقباله
عليه ، بحيث يبقى فيه التفات إلى غيره ، وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم ، كان أقرب إلى انتفاعه به ..

قلت : إن لم يكن هذا شرك في الآلوهية ، فما في الدنيا — والله — شرك .

أنظر المحاهر المضية ٢ / ٦٣ — ٦٤ . وجهود الحنفية ٣ / ١٢٩٤ .

وابن سينا بين الدين والفلسفة (ص ١٣٨)

٥ الحامدي : إبراهيم بن الحسين (.. — ٥٥٧هـ) من دعاة الإسماعيلية وعلمائهم باليمن . ومن أشهر مؤلفاته (كثر النوالد) و
(الرسائل الشريفة) .

(٣) كثر النوالد لإبراهيم الحامدي ١٣ — ١٤

والإسماعيليون يزعمون أن جميع الأسماء والصفات الإلهية ، إنما تليق بمبدعاته التي هي الأعيان الروحانية ، ومخلوقاته التي هي الصور الجسمانية . فأسماء الله الحسنى ما هي إلا إشارة إلى حدوده الروحانية العلوية والجسمانية السفلية ، ويؤولون قول الله تعالى : (والله الأسماء الحسنى فادعوه بها) بأن : المقصود بالأسماء هم الحدود أي تطلبون الوصول إلى توحيد الله من جهتهم . ذلك أن الإسماعيلية تزعم أن الله لم يخلق العالم خلقاً مباشراً ، وإنما أبدع الله تعالى (الكاف) واخترع (النون) ، وأن من الكاف والنون أقام الله العالم العلوي والعالم السفلي^(١)

فتوحيد الله الصحيح عندهم — كما يزعمون — : هو معرفة حدوده ، وسلب الإلهية عنه له تجريده ، وسلب الأسماء والصفات عنه له تنزيهه ، لأن الإثبات الحقيقي لهذه الصفات والأسماء على الله يعني شركة بينه وبين سائر الموجودات . وعليه فإن معرفة الله عند الإسماعيلية تقوم على اعتبارين :

الأول : تجريد الله وتنزيهه عن أسمائه وصفاته .

الثاني : أن توحيده يعني معرفة حدوده^(٢) .

والإسماعيلية بعد أن تجرد الله عز وجل من جميع أسمائه وصفاته ، تحولها إلى مبدع أبدعه الله تعالى — وهو كما يزعمون — : (العقل الأول) ويصف الكرمانى^٥ هذا المبدع بقوله : " إذا كان الله غريباً عن كل صفة ، فإن صفات الكمال موجودة في أول مبدع أبدعه ، فهو — أي المبدع — الحق والحقيقة ، وهو الوجود الأول ، وهو الوحدة ، وهو الواحد ، وهو الأزل ، وهو الأزلي ، وهو العقل الأول ، وهو المعقول الأول ، وهو العلم ، وهو العالم الأول ، وهو القدرة ، وهو القادر الأول ، وهو الحياة ، وهو الحي الأول)^أ — .

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ٨٥ — ٨٦ .

(٢) الإصمام لأفئدة الباطنية الطعام للعلوي ص (١٢) .

^٥ الكرمانى : أحمد بن عبد الله (٣٥٢ — ٤١٢ هـ) من دعاة الإسماعيلية ، من أشهر مؤلفاته : (راحة العقل) و (مجموعة الرسائل) توفي بإيران .

فالواحد — كما يزعمون — أبداع بأمر من مشيئته أول (سابق) فهو إذن العقل الأول والحجاب المفضل ، وظهر عنه التالي مخترعاً من نوره ، ثم ظهرت جميع الموجودات منهما وبهما ، فالفيض الأول هو اصل الإيجاد ، وهو المبدأ وإليه المعاد ^(١) .

ويزعمون أن الله — سبحانه وتعالى — خاطب العقل بعد خلقه بقوله : أنت فتقي ورتقي ، والمشرّف مني على خلقي ، بك آخذ حقي ، وبك أنجز وعدي ، فوعزتي وجلالي ، لا أصل من يجحدك ، ولا يعرفني من أنكرك ، فأنت مني بلا تبعيض ، وأنا فيك بلا حلول ، وفي منتهى العقول ^(٢) .

ولا شك أن العقل الأول أو السابق — عند الإسماعيلية — محلّ لجميع الصفات والأسماء الإلهية ، فهو عندهم الإله ممثلاً في مظاهره الخارجية ، ولما كانت الصلاة لا يمكن أن تؤدى لكائن لا يدرك ، فهي تؤدى في رأيهم لمظهره الخارجي ، أي العقل الذي أصبح بذلك الإله الحقيقي عندهم ، وبما أنه ليس في مقدور الإنسان أن يصل إلى معرفة ذات الله ، وإنما يعرف العقل وحده ، لهذا يسمى الإسماعيلية العقل : الحجاب أو المحل ، أو الصلة والعقل الأول أو المبدع الأول هو الذي رمز إليه تعالى بـ (القلم) في الآية الكريمة : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ (القلم : ١) وعلى هذا فالقلم هو الخالق المصور ، وهو الذي ابداع النفس الكلية التي رمز إليها القرآن بـ (اللوح المحفوظ) ، ووصفت بجميع الصفات التي للعقل الكلي ، إلا أن العقل كان أسبق إلى توحيد الله وأفضل فسمى بـ (السابق) وسميت النفس بـ (التالي) ، وبواسطة العقل والنفس وجدت جميع المبدعات الروحانية والمخلوقات الجسمانية ، من جماد وحيوان ونبات وإنسان ، وما في السموات من نجوم وكواكب ^(٣) .

(١) راحة العقل للكرمان ١٨٩ .

(٢) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ٨٧ .

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٣ / ٣٨١ .

فالخالق عند الإسماعيلية إذن هو العقل الكلي والنفس الكلية ، وإذا ذكر الله عندهم فالمقصود هو العقل الكلي . ومما يُذكر أن نظرية المثل والممثل التي تقول بها الإسماعيلية تقوم على أن الحدود الروحانية العلوية ، يوجد لها ممثل في الصور الجسمانية السفلية ، وهذه النظرية نظرية فلسفية قديمة ذكرها أفلاطون في كتبه ، وإذا طبقنا نظرية المثل والممثل على حدود الإسماعيلية ، يكون في العالم الأرضي حدود جسمانية تماثل الحدود العلوية وتتصف وتسمى بأسمائها ، لأن الله سبحانه وتعالى المنزه عن الأسماء والصفات ، أقام العالمين العلوي والسفلي بعشرة حدود كاملة : خمسة حدود روحانية ، وخمسة حدود جسمانية ، فالحدود الجسمانية النبي ، الوحي ، الإمام ، الحجة ، الداعي ، يقابل كلاً منهم في العالم العلوي : السابق ، التالي ، الجد ، الفتح ، الخيال . وقد استندوا في ذلك إلى تأويل قوله تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يُرسل رسلاً فيوحي بإذنه ما شاء ﴾ (الشورى : ٥١) . فزعموا أن المقصود — (الوحي) هنا هو رتبة (الجد) ، وأما (الحجاب) فهو رتبة (الفتح) و(يرسل رسلاً) رتبة (الخيال)^(١) .

لقد قام دعاة الإسماعيلية بالتوفيق بين الصليب (شعار النصرانية) ، وبين الشهادة (شعار الإسلام)^(٢) . ليصلوا بنفس الوقت إلى التوفيق بينهم وبين الحدود العلوية الإسماعيلية .

وقد صرح بذلك السجستاني^(٣) (٣٣١ هـ) قائلاً :

" إن الشهادة مبنية على النفي والاثبات ، فالابتداء بالنفي والانتهاؤ إلى الإثبات ، وكذلك الصليب خشبتان : خشبه ثابتة لذاتها ، وخشبه أخرى ليس لها ثبات إلا بثبات الأخرى . والشهادة أربع كلمات ، كذلك الصليب له أربع أطراف ،

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ٨٨-٨٩ بتصرف يسير .

(٢) وهؤلاء الإسماعيلية لهم أتباع اليوم يتفقون بضرورة التقريب بين الديانات الثلاث ، وبناء مسجد وكعبة وصومعة في فناء واحد .

(٣) السجستاني : إسحاق بن أحمد : من علماء الإسماعيلية ودعائهم ، يعني . له مؤلفات منها : (البنايع) قُتل في (تركستان) .

فالطرف الأول الذي هو ثابت في الأرض ، منزلته منزلة صاحب التأويل الذي تستقر عليه نفوس المرتادين ، فالطرف الذي يقابله علواً في الجو ، منزلته منزلة صاحب التأييد الذي عليه تستقر نفوس المؤيدين ، والطرفان اللذان في الوسط يمنة ويسرة دليل على التالي والناطق ، اللذين أحدهما صاحب التركيب والآخر صاحب التأليف ، أحدهما مقابل الآخر ، والطرف القائم دليل على السابق الممد لجميع الحروف ، والشهادة سبعة فصول ، كذلك الصليب أربع زوايا وثلاث نهايات ، وللزوايا الأربع والنهايات الثلاث دليل على الأئمة السبعة في أنوارهم ، كما دلّت النصوص السبعة في الشهادة على أئمة دور ناطقنا عليه السلام — وكل طرف منها له ثلاثة أطراف ، تكون الجملة اثني عشر ، كذلك الشهادة اثنا عشر حرفاً .. وكما أن الشهادة إنما تكمل عند اقترانها بمحمد — صلى الله عليه وسلم — كذلك الصليب إنما شرف بعد أن وجد عليه صاحب ذلك الدور " (١) .

قلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، اللهم أحيينا عليها ، وأممتنا عليها ، وابعثنا عليها ، واجعلنا من أهلها إلى أن تلقاك — يا الله — وأنت راض عنا —

يقول ابو حامد الغزالي — رحمه الله تعالى — : " أما القول بالهين فكفر صريح لا يتوقف فيه ، لأنهم عرفوا أننا نعتقد أن للعالم صانعاً واحداً قادراً عالماً مريداً متكلاً سميعاً بصيراً حياً ، ليس كمثله شيء ، فمن رآها كفراً فهو كافر لا محالة (٢) " .

مما سبق بيانه يدرك القارئ إدراكاً جازماً حقيقة التوحيد عند ابن سينا الذي رضع وشبع من لبان الإسماعيلية الملاحدة المتلاعبين بالشريعة الإسلامية ، الذين يسخرون من العالم والخلق والجزاء ، ويصورون الرسل — عليهم الصلاة والسلام — وفق أهوائهم ونزواتهم .

(١) البنايع للسحستاني ١٤٨ — ١٤٩ .

(٢) فضائح الباطنية للغزالي ص (١٥١) .

وإنما سقت تلك النصوص الطويلة عن الإسماعيلية لأن القارئ العادي لو قرأ في مؤلفات ابن سينا لظن بها خيراً ، وما رأى بها بأساً ، ولربما أعتقد ما فيها جهلاً بسمومها وأفاتها ، لكن لو عرف حقيقة الأمر لأدرك التفاوت .
فحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بالذي فيه ينضح^(١)

٢ - نظرية الفيض^(٢):

قال ابن سينا بضرورة الأخذ بنظرية الفيض للتدليل على آرائه في الألوهية ، وتبع ابن سينا جماعة أخوان الصفا الذين عمدوا على تليفق عدة نظريات فلسفية في محاولتهم إظهار صحة معتقدهم في الألوهية . فأخذوا بنظرية الفيض عند أفلاطون ومزجوها بفلسفة (فيثاغورس) في الأعداد ، وبفلسفة الفلاسفة الطبيعيين من القول بالعناصر الأربعة ، بالإضافة إلى فلسفة أرسطو القائلة بالهولي والصورة .

ونظرية الفيض ترجع إلى الفلسفة الأفلاطونية الحديثة ، وأول من قال بها أفلوطين مؤسس هذه المدرسة ، وهي النظرية التي تقول بها الإسماعيلية عند حديثها عن الألوهية ومراتب الوجود .

وقد لخص الإسماعيلية نظرية الفيض بقولهم : " إن الله لما كان تام الوجود كامل الفضائل عالماً بالكائنات قبل كونها ، قادراً على إيجادها متى شاء ، لم يكن من الحكمة أن يحبس تلك الفضائل في ذاته فلا وجود بها ولا فيفيضها .

(١) القائل : سعد بن محمد بن سعد (الخيص يبي) شاعر ، يلقب بأبي الفوارس ، توفي (٥٧٤هـ)

وقد ذكر ابن خلكان له قصة عجيبة أنظرها في : وفيات الأعيان ٣٦٤/٢ - ٣٦٥ .

(٢) نظرية الفيض عند أفلاطون تقوم على أن إحداث الأشياء ما هو في الحقيقة إلا انتشار ما في العلة الأولى من القدرة على التنقل والتأثير ، مع بقاء ذاتها على ما كانت عليه من السكون والكمال المتعالي عن كل نوع من التغيير والحركة ، فإذا قيل : وما الباعث الذي حمل تلك العلة على إحداث العالم ؟ فالجواب : لم تكن محتاجة إلى العالم ، بل كان ذلك لما فيها من الجود ، وإفراط القدرة .

أنظر : الوجود الإلهي ص (١١٣) .

وأنظر الفاموس في آخر هذه الرسالة .

فإذا بواجب الحكمة أفاض الجود والفضائل منه كما يفيض من عين الشمس النور والضياء ، ودام ذلك الفيض منه متصلاً متواتراً غير منقطع فيسمى أول ذلك الفيض (العقل الفعال) وهو جوهر بسيط روحاني نور محض في غاية التمام والكمال والفضائل ، وفيه صور جميع الأشياء ، كما تكون في فكر العالم صور المعلومات ، وفاض من العقل الفعال فيض آخر دونه في الرتبة يسمى العقل المنفعل ، وهي (النفس الكلية) ، وهي جوهر روحانية بسيطة قابلة للصور والفضائل من العقل الفعال على الترتيب والنظام . وفاض من النفس أيضاً فيض آخر دونه في الرتبة يُسمى (الهيولى الأولى) ، وهي جوهر بسيطة روحانية قابلة من النفس من الصور والأشكال بالزمان شيئاً بعد شيء (١) .

وكما تزعم الإسماعيلية أن الفيض الذي يؤمنون به يختلف عن الإبداع الذي تقول به الفلاسفة ، كذلك يزعم أخوان الصفا بهذا الاختلاف ، " فهم يرون أن كل موجود تام فإنه يفيض منه على ما دونه فيض ما وأن ذلك الفيض هو من جوهره ، يعني صورته المقومة التي هي ذاته ، أما الإبداع فهو يعني أن الأمور أبدعت وأخرجت من العدم إلى الوجود ، وخاصة الأمور الروحانية الإلهية التي هي العقول " (٢) .

وعندما يمزج أخوان الصفا بين نظرية الفيض الأفلاطونية ونظرية العدد الفيثاغورية في أن الواحد أصل الوجود يقولون : إن الباري أول ما أبدع من (نور وحدانيته) جوهرأ بسيطاً يقال له (العقل الفعال) كما أنشأ الاثنين من الواحد بال تكرار ، وأنشأ (النفس الكلية الفلكية) من (نور العقل) والهيولى الأول من (حركة النفس) ، وأنشأ أخيراً سائر المخلوقات في العالم من الهيولى بتوسط العقل والنفس ، كما أنشأ سائر الأعداد من الأربعة بإضافة ما قبلها إليها ،

(١) رسائل أسرار الصفا ٣/١٩٧-١٩٨ .

(٢) أسرار الصفا / مصطفى غالب .

وبهذا الاعتبار يصح القول عن الباري أنه المبدأ الأول للأشياء جميعها — تماماً كما يعتبر الواحد المبدأ الأول للأعداد جميعها^(١) .

ونظرية الفيض تهدم العقيدة الإسلامية في الإله وقدرته ، فهم وإن قالوا بأن الله علة العالم ، لكنهم قرروا أنه لا يستطيع خلقه ، وأن العالم صدر عنه كما يصدر الضوء عن الشمس ، فهو لازم له لا يستطيع حبسه ومنعه ، وهذا القول ينفي القدرة الإلهية كما يفهمها المسلمون وينفي الإرادة الإلهية كما يقول بها الإسلام ، ويصف الله — سبحانه وتعالى — بأنه لا حيلة له في خلق العالم ، ولا شأن له به ، ولا رأي له فيه^(٢) .

لقد جمع ابن سينا في نظرية الفيض ما قاله (بطليموس) في علم الفلك ، إلى ما قاله (ارسطو) في العقول المفارقة ، إلى ما قاله (افلوطين) في نظرية الانبثاق ، وكان أكثر تأثراً بأفلوطين من سلفه الفارابي ، فجعل " العلة القريبة للحركة نفساً لا عقلاً " فالعقل ليس سوى جانب من النظام الكوني العام ، فالعقل مبدأ النظام ، والنفس قوة محرركة وفق النظام العقلي ، والمادة هي التي تقبل هذه الحركة ، فهناك عقل ينظم ونفس تحرك ومادة تتحرك ..

وعلى ذلك فمراتب الموجودات أربع :

- ١ — الجواهر المفارقة : وهي العقول السماوية ، مبدأ النظام الكوني .
- ٢ — الصور الروحانية : وهي نفوس الأفلاك مبدأ الكمال والحركة .
- ٣ — الهوى : وهي الموضوع الذي توجد فيه الصور الطبيعية .
- ٤ — الأعراض : وهي الكيفيات التي تتعاقب على الجوهر الواحد من غير أن تؤثر على ماهيته .

أما الله فهو محرك الكل على سبيل التشويق لأنه غاية الغايات^(٣) .

(١) تاريخ الفلسفة الإسلامية ٢٣٢ .

(٢) أخوان الصفا ص (١٥٠) .

(٣) ابن سينا محمد الحر ص (٨٩ — ٩٠) .

يقول الأب يوحنا قمبر عن نظرية الفيض : هذه نظرية فاسدة في نظرنا من نواح عديدة من أهمها :

- ١ — غير صحيح أنه عن الواحد لا يصدر إلا واحد : إن الذي يوجد الواحد يوجد الكثير ، والذي يوجد البسيط يوجد المركب . إن قدرة الله اللامتناهية لا يشوبها ضعف أو كلل ، فهي في إيجاد الكثير نفسها في إيجاد الواحد .
- ٢ — غير صحيح أن علم الله — والعقول المفارقة — إيجاد : لا يكفي أن يعلم الله ، بل يجب أن يريد ويفعل ، أما العقول المفارقة فلا شأن لها في الخلق .
- ٣ — غير صحيح أن العالم صدر عن الله ضرورة : إن الله حر^(١) أن يخلق ، وفي أن يخلق العالم أو غيره .
- ٤ — استعمال لفظ الفيض بدل لفظ (الخلق) يؤهم أن العالم شيء من الله ، فالإقلاع عنه أفضل أـ .

وهذا القول الأخير يؤكد (افلوطين) حين يقول بوحدة الوجود من خلال نظريته في انبثاق العقل والنفس والمادة عن الله لتكون معه شيئاً واحداً يتوق كل جزء للعودة إلى الأصل الأول الواحد (٢) .

وابو حامد الغزالي — رحمه الله تعالى — ينتقد هذه النظرية فيقول مخاطباً الفلاسفة : " كيف لا تستحيون من أنفسكم في قولكم : إن كون المعلول الأول ممكن الوجود اقتضى وجود جرم الفلك الأقصى .. وما الفرق بين هذا وبين قائل : عرف وجود إنسان وأنه ممكن الوجود .. فقال يلزم من كونه ممكن الوجود وجود فلك : فلست أدري كيف يقع المجنون من نفسه بمثل هذه الأوضاع " (٣) .

(١) كذا قال ، والأولى أن يقول : إن الله فعال ، أو حكيم سبحانه وتعالى .

(٢) ابن سينا يوحنا قمبر ص (٣٠) .

(٣) تحافت الفلاسفة ص (٤٢) .

قلت : وبهذا يتبين لنا بجلاء خطورة الأفكار والمعتقدات التي يدين ويعتقد بها ابن سينا لكونها تمس أعظم جوانب هذا الدين وأكبر مسائله ألا وهو الإيمان بالله عز وجل الذي هو أول أركان الإيمان وأعظم مبانيه .
والآن نقرأ سوياً معتقده في توحيد الأسماء والصفات ، لنذكر حقيقة معتقده الفاسد .

ج (نقد عقيدة ابن سينا في توحيد الأسماء والصفات :

توحيد الأسماء والصفات هو الإقرار والاعتراف بكل ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — من الأسماء والصفات وإثبات ذلك كله على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته إثباتاً لا تمثيل فيه ولا تكييف وإفرادها كما جاءت مؤمنين بها ومصدين على حد قول الله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (الشورى : ١١)
**** وهذا التوحيد له ثلاثة اصول : (١)**

- ١ — التصديق بها بالإقرار والاعتراف الجازم الذي لا شك فيه .
- ٢ — نفي التمثيل فلا تماثل صفاته شيئاً من صفات خلقه .
- ٣ — نفي التكييف وهو العلم بكنه الصفة وحقيقتها وماهيتها كما يتصف بها رب العالمين ..

**** وهذا التوحيد له ثلاثة أركان :**

- ١ — الإيمان بالاسم كاسم الله : الله والرحمن والعليم .
- ٢ — الإيمان بالصفة التي اشتق الاسم منها كالألوهية التي اشتق منها لفظ الجلالة (الله) والرحمة التي اشتق منها اسم الله (الرحمن) و(العلم) التي اشتق منها العليم .
- ٣ — الإيمان بآثار الأسماء والصفات القدريّة والشرعية ، فالخلق كله من آثار اسمه (الخالق) وصفته (الخلق) و(الأمر) و(النهي) من آثار إرادته الدينية الشرعية ، وهكذا . (٢)

(١) القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ص (٤٣) .

(٢) المصدر السابق ، ص (٤٤) .

**** وعلى ضوء ما سبق سنناقش ابن سينا باختصار في مسألتين ، هما :**

١ — موقف ابن سينا من أسماء الله وصفاته .

٢ — تأويل ابن سينا لأسماء الله وصفاته .

١ — موقف ابن سينا من أسماء الله وصفاته :

أثر الفكر الباطني في ثوب الشيعي الإسماعيلي على ابن سينا ، لدرجة أنه يقول عن عقيدته في الإله على غرار ما يقول الفلاسفة اليونان ، فيقول في الإله : إنه واجب الوجود ، ويقول عنه : إن واجب الوجود هو الذي متى فرض أنه غير موجود عرض عنه محال . فهو إذا ضروري الوجود .

ويقول عن ممكن الوجود : " إن ممكن الوجود : هو الذي متى فرض غير موجود أو موجوداً لم يعرض عنه محال . أي أن ممكن الوجود عند ابن سينا هو الذي لا ضرورة في وجوده أو عدمه . ثم يقول : إن كان الله واجب الوجود بذاته فهو المطلوب . وإن كان ممكن الوجود فممكن الوجود لا يدخل في الوجود إلا بسبب يرجح على عدمه ، فإن كان سببه أيضاً ممكن الوجود فهكذا تعلق الممكنات بعضها ببعض فلا يكون موجوداً البتة لأن هذا الوجود الذي فرضناه لا يدخل في الوجود ما لم يسبقه وجود ما لا يتناهى وهو محال ، فإذا الممكنات تنتهي بواجب الوجود بذاته " (١) .

وأما علم واجب الوجود فهو عند ابن سينا يعقل ذاته بذاته ، ويعقل ما بعده من حيث هو علة لما بعده ، ويعقل سائر الأشياء من حيث وجوبها في سلسلة الترتيب النازل من عنده طوياً وعرضاً ، وأما الأشياء الجزئية فإنها عنده تعقل في إطار مقفل علمه بالكليات .

ولما كان ابن سينا متأثراً بما عرف عن الإغريق على يد (أرسطو) في (المحرك الأول) ، فإنه قد غاب عنه أن الله في الإسلام هو الخالق لكل شيء ، والذي لا يتم شيء إلا بأمره ، ولا يدوم إلا بحفظه ، ويعلم سبحانه كل شيء مهما صغر ودق ، وأنه سبحانه هو الذي أخرج العالم من العدم إلى الوجود ، وهذا الإله الخالق الذي وصف علمه تعالى في كتابه بقوله سبحانه : ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البرِّ والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ (الأنعام ٥٩) وابن سينا بعد مقولة : (واجب الوجود) و (ممكن الوجود) أهتم بقضية (علة العلل عند سقراط) والتي أسماها ابن سينا : العقل الفعال ، الذي تتبعث عنه بواسطة الحركات المادية والنفوس البشرية والأفكار والصور الجوهرية التي تجب على المادة الأرضية أن تقبلها لتحل فيها . والمادة عند ابن سينا غير حادثة بل أزلية كما هي عند أرسطو ، وقد سلم ابن سينا بنظرية أرسطو في (العلل) وفي قضية (الكليات الفعالة) التي تقول بعقول خالقه من دون الله ، وهي نظرية أفلاطون التي تقول بتولد العقل الثاني عن العقل الأول ثم يتلوه عقل وعقل إلى العشرة ، وتحت كل العقول فلك صورته هي الكلية في الإله الخالق ، حيث يعتقد بصدور الموجودات عن طريق العقل الكامل لا عن أمر الله الخالق^(١) .

قال شيخ الإسلام — رحمه الله تعالى — : (ابن سينا عرف أن قوله لا يتم إلا بما ادّعاه من التوحيد الذي مضمونه نفي صفات الرب وأفعاله القائمة بنفسه ، كما وافقه على ذلك من وافقه من المعتزلة ، وبموافقتهم له على ذلك استطال عليهم ، وظهر تناقض أقوالهم ، وإن كان قوله أشد تناقضاً من وجه آخر ، لكنه صار يحتاج على بطلان قولهم بما اشتركوا هم وهو فيه من نفي صفات الله الذي هو أصل الجهمية ، وهكذا هو الأمر فإن حجة القائلين بقدم العالم ،

التي أعتمدها (ارسطوطاليس) واتباعه ، كالفارابي وابن سينا وأمثالهما ، لا تتم إلا بنفي أفعال الرب القائمة بنفسه ، بل وتبقى صفاته ، وإلا فإذا نوزعوا في هذا الأصل بطلت حجتهم ، وإذا سلم لهم هذا الأصل صار لهم حجة على من سلمه لهم ، كما أن عليهم حجة من جهة أخرى ، ولهذا كان حال القائلين بنفي أفعال الرب الاختيارية القائمة به في مسألة قدم العالم : إما إلى الحيرة والتوقف ، وإما إلى المعاندة والسفسطة ، فيكونون إما في الشك وإما في الإفك .. وابن سينا وصى بالأصل المتضمن نفي صفات الرب وأفعاله القائمة به ، ثم ذكر القولين في قدم العالم وحدثه ، مع ترجيحه القدم ، مفوضاً إلى الناظر الاختيار ، بعد أن يسلم الأصل الذي به يحتج على القائلين بالحدوث .

ونحن نبين — إن شاء الله — أن قوله مع تسليم نفي الصفات والأفعال القائمة بالله ، أشد فساداً وتناقضاً من قول القائلين بالحدوث ، فإن كان في قول هؤلاء ما يناقض صريح العقل ، ففي قول أصحابه من مناقضة المعقول الصريح ما هو أشد من ذلك . وذلك أنه إذا كانت الذات بسيطة ليس لها فعل يقوم بها أصلاً ، بل كان امتناع صدور الأمور المختلفة ، والحادثة عنها بوسط أو بغير وسط دائماً ، أشد امتناعاً من صدور ذلك بعد أن لم يصدر ، فإن أمكن أن يحدث عنها حادث بلا سبب محدث منها ، أمكن حدوث الحوادث عنها بعد أن لم تحدث ، وإن لم يمكن كان حدوث الحوادث المختلفة عنها ، بوسط أو بغير وسط دائماً من غير فعل منها ، هو أبعد في الامتناع من صدور المختلفات عنها بعد أن لم تصدر " (١) .

والعجيب أن ابن سينا تردد في إثبات صفة (العلم) لله تعالى ، وزعم أن الله سبحانه وتعالى — لا يعلم الجزئيات : " وأما قول من قال من الفلاسفة : إنه لا يعلم إلا الكلّيات ، فهذا من أخبث الأقوال وشرها ، ولهذا لم يقل به أحد من طوائف الملة . وهؤلاء شرّ من المنكرين للعلم القديم ، من القدرية وغيرهم .

وأما ما ذكره من أن الفلاسفة لا يقولون : إنه لا يعلم الجزئيات ، بل يرون أنه لا يعلمها بالعلم المحدث ، وإنكاره أن يكون المشاؤون من الفلاسفة ينكرون علمه بجزئيات العالم ، فهذا يدل على فرط تعصبه لهؤلاء الفلاسفة بالباطل ، وعدم معرفته بحقيقة مذهبهم ، فإنه دائماً يتعصب لأرسطو ، صاحب التعاليم المنطقية والإلهية . وكلامه في مسألة العلم معروف مذكور في كتابه (ما بعد الطبيعة) ، وقد ذكره بألفاظه أبو البركات صاحب (المعتبر)^(١) . وغيره ، ورد ذلك عليه أبو البركات ، مع تعظيمه له ، وأرسطو ينكر علم الرب بشيء من الحوادث مطلقاً ، وكلامه في ذلك وحجة من أفسد الكلام .. ولكن ابن سينا وأمثاله زعموا أنه إنما يعلم الكليات والجزئيات ، يعلمها على وجه كلي . وهؤلاء فرّوا من وقوع التغير في علمه .. وذهب قدماء الفلاسفة إلى أنه عالم بذاته فقط ، ثم من ضرورة علمه بذاته يلزم منه الموجودات ، وهي غير معلومة عنده ، أي لا صورة لها عنده على التفصيل والإجمال .

وذهب قوم منهم إلى أنه تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات ، وذهب قوم إلى أنه يعلم الكلي والجزئي جميعاً ، على وجه لا يتطرق إلى علمه نقص وقصور ، فهذا القول الثالث هو شبيهه بالقول الذي اختاره ابن رشد . وأما القول الثاني والأول فهما اللذان حكاهما الغزالي عن الفلاسفة .. قال (الغزالي) منهم من قال : لا يعلم إلا ذاته ، ومنهم من يسلّم أنه يعلم غير ذاته . قال (الغزالي) : وهو الذي اختاره ابن سينا ، فإن زعم أن يعلم الأشياء كلها بنوع كلي ، لا يدخل تحت الزمان ، ولا يعلم الجزئيات التي يوجب تجدد الإحاطة بها تغييراً في ذات العالم ، وذكر الغزالي أنهم اتفقوا على أنه لا يعلم الجزئيات المنقسمة بانقسام الزمان إلى الكائن ، وما كان ، ويكون " .

(١) هبة الله بن علي بن ملكا : (٤٨٠ - ٥٦٠ هـ) طبيب وفيلسوف ، كان يهودياً فاسلم ، ومن أشهر مؤلفاته (المختار) في الحكمة . نقده

ابن تيمية - رحمه الله تعالى - وفضّله على كثير من المتكلمين والفلاسفة .

انظر : درء التعارض ٦ / ٢٤٨ .

قال ابن سينا في (الرسالة الأضحوية) : " وهل هو : واحد الذات على كثرة الأوصاف ، أو قابل لكثرة ؟ تعالى عنها من الوجوه " (١) .

" فيقال له : الكتاب الإلهي مملوء بإثبات الصفات لله تعالى ، كالعلم والقدرة والرحمة ونحو ذلك ، ولم يتنازع اثنان من العقلاء أن النصوص ليست دالة على نفي الصفات ، بل إنما هي دالة على قول أهل الإثبات ، لكن غاية ما تدعيه النفاة أن ظاهرها دال على ذلك ، وإنه يمكن تأويله للدليل المعارض ... والعلم بإثبات الصفات من قول الله ورسوله ، بعد تدبر النصوص الإلهية ، علم ضروري لا يرتاب فيه ، وهو أبلغ من العلم بثبوت الشفعة ، وميراث الجدة ، وتحريم المرأة على عمتها وخالتها ، وسجود السهو في الصلاة " (٢) .

ثم رد شيخ الإسلام — رحمه الله تعالى — على ابن سينا في قوله : " أهو : متحيز الذات أم مُزهرها عن الجهات " ؟ .

فقال : " هو أيضاً من حججهم على نفاة الصفات ، فإن الكتب الإلهية وصفته بالعلو والفوقية ، ولم تنف أن يكون فوق العالم كما تقوله النفاة .. أما لفظ (التحيز) (الجهة) فلفظان مجملان ، ومراد النفاة منهما غير المراد في اللغة المعروفة .. ولما كان لفظ (المتحيز) فيه إجمال وإيهام ، وامتنع طوائف من أهل الإثبات عن إطلاق القول بنفيه أو إثباته ، ولا ريب أنه لا يوجد عن أحد من السلف والأئمة لا إثباته ولا نفيه " (٣) .

وقال ابن سينا : " الإقرار بالصانع مقدساً عن الكم ، والكيف ، والأين ، ومتى ، والوضع ، والتغير ، حتى يصير الاعتقاد أنه ذات واحدة ، لا يمكن أن يكون له شريك في النوع ، أو يكون له جزء وجودي كمي أو معنوي " .

(١) درء التعارض ٢٦٨/٩ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ بتصرف يسير .

(٢) درء التعارض ٥ / ٥٠ .

(٣) درء التعارض ٥ / ٥٥ — ٥٧ .

قال ابن تيمية — رحمه الله تعالى — : " فكلامه هذا يتوهم الجاهل أنه تعظيم لله ، ومراده أنه ليس لله علم ، ولا قدرة ، ولا إرادة ، ولا كلام ، ولا محبة ، وأنه لا يرى ، ولا يباين المخلوقات " (١) .

(ومن هنا ابتدع من ابتدع لمن اتبعه على نفي الصفات اسم (الموحدين) وهؤلاء منتهاهم أن يقولوا : هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق ، كما قاله طائفة منهم ، أو بشرط نفي الأمور الثبوتية ، كما قاله ابن سينا وأتباعه ، أو يقولون : هو الوجود المطلق لا بشرط ، كما يقوله القنوي وأمثاله .

ومعلوم بصريح العقل الذي لم يكذب قط أن هذه الأقوال باطلة متناقضة من وجوه :
١ — أن جعل عين العلم عين القدرة ، ونفس القدرة هي نفس الإرادة والعناية ، ونفس الحياة هي نفس العلم والقدرة ، ونفس العلم نفس الفعل والإبداع ونحو ذلك معلوم الفساد بالضرورة ، فإن هذه حقائق متنوعة ، فإن جعلت هذه الحقيقة هي تلك كان بمنزلة من يقول : إن حقيقة السواد هي حقيقة الطعم ، وحقيقة الطعم هي حقيقة اللون ، وأمثال ذلك مما يجعل الحقائق المتنوعة حقيقة واحدة .

٢ — أن من المعلوم أن القائم بنفسه ليس هو القائم بغيره ، والجسم ليس هو العرض ، والموصوف ليس هو الصفة ، والذات ليست هي النعوت ، فمن قال : " إن العالم هو العلم ، والعلم هو العالم " فضلاله بين . وكذلك معلوم أن العلم ليس هو المعلوم ، فمن قال : " إن العلم هو المعلوم ، والمعلوم هو العلم " فضلاله بين أيضاً .

٣ — أن يقال : الوجود المطلق بشرط الإطلاق ، أو بشرط سلب الأمور الثبوتية ، أو لا بشرط مما يعلم بصريح العقل انتفاؤه في الخارج ، وإنما يوجد في الذهن ، وهذا مما قرّره في منطقهم اليوناني ، وبينوا أن المطلق بشرط الإطلاق ، وجسم مطلق بشرط الإطلاق ، ووجود مطلق بشرط الإطلاق : لا يكون إلا في الأذهان دون الأعيان .. " (٢) .

(١) در التعارض ٥ / ٨٧ .

(٢) در التعارض ١ / ٢٨٥ — ٢٨٦ .

قال ابن سينا : " ليس يجوز أن يعقل من الأشياء ، وإلا فذاته إما متقومة بما تعقل ، فيكون متقوماً بالأشياء . وإما عارضاً لها أن تعقل ، فلا تكون واجبة الوجود من كل وجه " (١) .

قال ابن تيمية — رحمه الله تعالى — : " قولك (يعقل الأشياء من الأشياء) أتريد به أن الأشياء تجعله عاقلاً فتعلمه العلم بها ؟ أم تريد أن علمه بالأشياء لا يكون إلا مع تحقق المعلوم ؟ أم تعني به أن علمه بالأشياء يكون بعد وجود المعلوم ؟ أما الأول فلا يقوله مسلم ، بل المسلمون متفقون على أن الله مستغن عما سواه في علمه بالأشياء في غير ذلك ، بل هو المعلم لكل من علم سواء من علمه . وقد قال تعالى : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ (البقرة : ٢٥٥) . وقال : ﴿ تَعْلَمُونَهُ مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ ﴾ (المائدة : ٤) .

وإن أراد بذلك أن يعلم الأشياء بعد وجودها ، فلا ريب أنه يعلم ما يكون قبل أن يكون ، ثم إذا كان : فهل يتجدد له علم آخر ؟ أم علمه به معدوماً هو علمه به موجوداً ؟ هذا فيه نزاع بين النظائر ، وأي القولين كان صحيحاً حصل به الجواب)) (٢) .

(١) النجاة لابن سينا ٣ / ٢٤٦ .

(٢) درء التعارض ١٠ / ١٥ — ١٧ بتصرف يسو .

قلت : ولعل تأويل ابن سينا لأسماء الله وصفاته خير دليل لكشف عقيدة هذا

الرجل الذي قال فيه الشاعر :

قطعنا الأخوة عن معشر

بهم مرض من كتاب الشفا

فماتوا على دين (رسطالس)

وعشنا على سنة المصطفى^(١)

(١) ذكر هذين البيتين (حاجي خليفة) في كتابه (كشف الظنون) ١٠٥٥/٢ ، ونسبها إلى : (أبي سعيد أبي الخير) !! .

ولم يرد على ذلك . وبعد البحث وحدث البيتين منسوبين إلى أبي القشيري : (هبة الرحمن بن عبدالواحد بن عبدالكريم القشيري) المتوفى

سنة (٥٤٦هـ) — رحمه الله تعالى — قال ابن حجر عنه : ((كان خطيب نيسابور ، ويرجع إلى فضل ومجيز ومعرفة بعلوم القوم ،

مع سلامة الخائب والتودد وحسن الخلق))

والبيتان ذكرهما شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله تعالى — مع بيتين آخرين ، مع اختلاف في الترتيب على البيتين السابقين ، والأبيات :

قطعنا الأخوة من معشر بهم مرض من كتاب الشفا

وكم قلت : يا قوم أنتم شفا حرف من كتاب الشفا

فلما استهانوا بتبيينها رجعنا إلى الله حق كفى

فماتوا على دين رسطالس وعشنا على ملة المصطفى

انظر : فتاوي ابن تيمية ٢٥٣ / ٩ . وللقوف على ترجمة ابن القشيري ، أنظر :

لسان الميزان ٢٢٦ / ٦ وضيقات الشافعية ٣٢٢ / ٤ . والصفات الإلهية بين السلف والخلف (ص ١٠٢) ..

اللهم أحينا على سنة المصطفى — صلى الله عليه وسلم — ونوفنا عليها وأنت راض عنا برحمتك يا أرحم الراحمين ، آمين ..

٢ - تأويل ابن سينا لأسماء الله وصفاته :

يقول ابن سينا في (الرسالة الصمدية) في تفسير سورة الإخلاص)
 " (قل هو الله أحد) " هو : " الهو " المطلق هو الذي لا تتوقف ماهيته على غيره ،
 لأن التوقف على الغير ما لم يعتبر الغير لم يعتبر . فلا يكون هو هو ، والذي
 هويته لذاته سواء اعتبر غيره أم لم يعتبر فهو هو . وعلى ذلك فأعتبر وصف
 (هو) الذي أطلق على الله من نفسه يجب أن نجزم بأنه ليس ممكن الوجود
 لتوقف الممكن على الغير . ولا أن هناك تغييراً بين ماهيته ووجوده ، لأن كل من
 كان كذلك فوجوده من غيره ، لأن ماهيته قبل وجوده لا يمكن أن تكون سبباً في
 وجود نفسها ، وإذا كان وجوده من غير أن يكن هو هو ، وكذلك يجب أن لا
 يكون مركباً من أجزاء أصلاً ، وإلا كان وجوده متوقفاً عليها فلم يكن هو هو ،
 وكذلك يجب أن يكون لا حد له ، أي غير مركب في النفس من جنس وفصل
 حيث إنه لا مقومات له ، ولذلك حينما اراد الله أن يشرح هويته أتى بتعريف جامع
 لما يلزم ذاته من حيث هي ، ولما يلزمها باعتبار اضافتها إلى غيره حتى يكون
 تعريفاً واضحاً ، ولم يأت بحد . إذ أنه لا حد له ، فقال " الله " فإن الإله المطلق
 هو الذي تنسب إليه جميع الكائنات — وهو إضافة — ولا يُنسب إلى غيره — وهو
 سلب — ثم بعد ذلك صرح بما تستلزمه الهوية المطلقة ، وتكون دليلاً عليه من
 نفي التركيب عنه . فقال " أحد " باطلاق ، أي مبالغ في الوجدانية . ولا تتحقق
 المبالغة إلا بالبساطة التامة ، ثم قال " الله الصمد " فأراد أن يشرح (الإلهية) التي
 جعلت معرفاً للهوية المطلقة ، فقال " الصمد " وهو الذي لا جوف له ولا باطن ،
 فهو إذن مجرد عن الماهية ، إذ كل من كان له ماهية فله باطن وهو ماهيته .
 والواجب في الواقع

(إن وجود فقط) وهذا يستلزم أبديته كما استلزمت هويته أزليته^(١) .

(١) وابن سينا له تأويل عجيب وغريب . كله ظلمات بعضها فوق بعض — لا سيما في تأويل سورة (الناس) " يحرفون الكلم عن مواضعه "

انظر : ابن سينا بين الدين والفلسفة ص (٢٠٣) .

وكذلك " الصمد " في اللغة السيد ومعناه هنا أنه سيد الكل . أي مبدأ لصدور الكل عنه ، فهو علة النظام والحيز في الوجود ، والمعنى الأول للصمد سلبي . والثاني اضافي ، ومجموعهما يحقق معنى (الإلهية) ولما كان الصمد معنى يستلزم أن يكون الكل عنه فقد نفى القرآن أن يتولد عنه مثله ، ثم أقام الدليل على ذلك بقوله : " ولم يولد " أي لم يتولد عن غيره ، فيكون الدليل هكذا ، أنه لو تولد عنه مثله لشاركه في شيء وتميز عنه بآخر ، ولا يكون التميز إلا بالمادة وعلائقها ، وكل ما كان مادياً أو له علاقة بالمادة فهو متولد عن غيره ، وهو غير متولد عن غيره ، والدليل على أنه غير متولد عن غيره ما ذكر في أول السورة من أنه " هو " أي هوية مطلقة ، والمتولد عن غيره يتوقف عليه فلا يكون هوية مطلقة ، ويؤخذ من قوله " لم يولد " — فوق كونه دليلاً — أن الله ليس له مساوي في الوجود، وذلك لأن كل من كانت ماهيته مشتركة بينه وبين غيره على فرض أن يكون المساوق من نوع لا بد أن يكون وجوده مادياً . فيكون متولداً عن غيره . وأما إذا كان المساوق في الماهية الجنسية فمعنى هذا أنه يصبح مركباً من جنس بمثابة الأم وفصل بمثابة الأب فيكون متولداً عن غيره . وإذا كان واجب الوجود واحداً من كل وجه ، وليس له مشارك في نوع أو جنس وكان بريئاً عن العدم والنقص ، فهل يمكن أن يكون له مكافئ في الوجود ؟ الجواب : لا . ولذلك قال الله : ((ولم يكن له كفواً أحد)) أنظر إلى كمال حقائق هذه الصورة ، فإنه قد أشار أولاً إلى الهوية المحضة التي لا اسم لها إلا أنه (هو) ثم عقب بذكر الإلهية التي هي أقرب للوازم لتلك الحقيقة واشدها تعريفاً كما بينا .. " (١) .

(١) ابن سينا بين الدين والفلسفة ص (١٠٨) . قلت : أنصح كل من أطلع على هذا الكتاب " ابن سينا بين الدين والفلسفة لعمود غرابية " أن يتحذر من تعجيد مؤلفه لابن سينا وإطرائه ، فالمؤلف — عفا الله عنه — من المعجبين بابن سينا وبفعله وفلسفته ، وقد أقام السلطان عمود بن سبكيون بأنه عدو ابن سينا ونال من شخصيته ، وقد رددت عليه في كتابي : " عمود بن سبكيون الغزنوي ، وموقفه من عقيدة أهل السنة والجماعة " .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾ (الحاقة : ١٧)

العرش : هو الفلك المحيط ، والمقصود بالثمانية الأفلاك الداخلة فيه ، والمقصود باليوم في قوله (يومئذ) يوم القيامة . فما هو يوم القيامة عنده ؟ يقول : هو يوم الموت أعني يوم مفارقة النفس للبدن . ثم يعلّل لجعل الوعد والوعيد وأشباههما مختصاً بهذا الوقت فيقول : إن تحقيق النفس عند المفارقة أكد .

وقال عن (الجنة) و(النار) : العوالم ثلاث : عالم الحس ، وعالم الخيال والوهم ، وعالم العقل ، فالعالم العقلي حيث المقام للنفس هو (الجنة) . والعالم الخيالي الوهمي حيث العطب هو (جهنم) والعالم الحسي هو عالم (القبور) . ويقول مُمهّداً لمعنى (الصراط) : النفس في وصولها إلى المقولات تحتاج إلى الحس الظاهر ونعلم أن الإدراكات تنتقل من الحس الظاهر إلى الخيال والوهم . وهذا هو من الجحيم طريق وصراط دقيق صعب حتى تبلغ إلى ذات العقل ، أي الجنة ، فهو إذن يرى أن من وقف قبل أن يصل إلى مرتبة المعرفة فهو جهنم ، ومن سار حتى وصل إليها فقد اجتاز الصراط وبلغ دار النجاة^(١).

ويقول في تفسير قول الله تعالى : ﴿ عليها تسعة عشر ﴾ (المدثر : ٣٠) : " إذ قد تبين أن الجحيم هو ما هو وبيننا أنه بالجملة النفس الحيوانية ، وبيننا أن هذه النفس هي الباقية الدائمة في جهنم وهي منقسمة قسمين : إدراكية وعملية ، والعملية شوقيه وغضبيه ، والعملية هي تصورات الخيال المحسوسات بالحواس الظاهرة . وتلك المحسوسات ستة عشر ، والقوة الوهمية الحاكمة على تلك الصور حكماً غير واجب واحدة ، ستة عشر وهي تصورات الخيال المحسوسات وواحدة ، وهي القوة الوهمية — فالمجموع سبعة عشر ، يضاف إليهما القوة

(١) ابن سينا بين الدين والفلسفة ص (١٦٨) .

الشوقية والقوة الغضبية اللتان هما قسمان للقوة العملية ، فيكون المجموع تسعة عشر" (١) .

وقال عن عدد ابواب الجنة — جعلنا الله من أهلها — وعدد أبواب النار — نعوذ بالله من حال أهلها — :

" قد علم أن الأشياء المدركة إما مدركة للجزيئات بموادها كالحواس الظاهرة وهي خمسة ، أو مدركة متصورة بغير مواد كخزانة الحواس المسماة بالخيال أو قوة حاكمة عليها حكماً غير واجب وهي الوهم . أو قوة حاكمة حكماً واجباً وهي العقل . وهذه ثمانية (يقصد أبواب الجنة) فإذا اجتمعت الثمانية جملة أدت إلى السعادة السرمدية والدخول في الجنة ، وإن حصل سبعة منها لا تستتم إلا بالثلث من أدت إلى الشقاوة السرمدية . والمستعمل في اللغات أن الشيء المؤدى إلى الشيء يسمى باباً له ، فالسبعة المؤدية إلى النار سُميت أبواباً لها ، والثمانية المؤدية إلى الجنة سميت أبواباً لها . وهذا هو ما يرمي إليه الدين بإشاراته ورموزه من معانٍ وحقائق " (٢) .

قلت : أتمنى من القارئ الكريم أن يعيد قراءة هذا المبحث من هذه الرسالة ، حتى يستيقن أن ابن سينا يتلاعب بتوحيد الله وأحكام الإسلام وأمور الغيب تلاعباً لم يقع من كبار مشركي العرب في زمن الرسول — صلى الله عليه وسلم —

وصدق الله إذ يقول :

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَاللَّهُ مَتَمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾
(الصف : ٨) .

(١) المصدر السابق ص (١٦٩) . وقال في رسالة المبدأ والمعاد ص (٢٥٤) :
(وهذا كلام مطلق تحت معان كثيرة في شرحه على الحقيقة تكون النجاة) !! .

(٢) ابن سينا بين الدين والفلسفة ص (١٦٩)

المبحث الرابع

﴿ عقيدة ابن سينا في النبوة والوحي والرسالة ﴾

يسمى ابن سينا (النبوة) : نظرية النبوة ، وتعتمد هذه النظرية عنده على ما ذهب إليه مما اقتبسه من الفلاسفة الأولين وما أسماه (المعرفة) . والمعرفة عنده أن فعل العقل إما أن يتم بواسطة العلم بالمحسوسات ، وإما بغير واسطة — وهذا حين تتكشف له المعقولات الكلية دفعة بواسطة العقل الفعّال ، أو بإشراف بعض العقول المفارقة^(١) .

والوحي الخاص بالأنبياء عند ابن سينا ضرب من هذا الاتصال ، أي أنه يتم لهم إما بواسطة العقل الفعّال أو بإشراف بعض العقول المفارقة ، وعند ابن سينا كلما كان الوحي أكمل كان الملك الذي يجيء به أعلى درجة وأعظم مرتبة .

والفرق بين الأنبياء والعارفين والأولياء عند ابن سينا ، أن الوحي للأنبياء بالطبع ، أما عند العارفين والأولياء فلا يكون إلا بعد التدرج في مقامات طويلة من تصفية العقل والنفس وتركيزتهما ، وعنده أن الأنبياء عندهم استعداد خاص لقبول الإلهام بما فيهم من اعتدال مزاج البدن ، وهم يتقبلون هذا الاعتدال من الفيض الإلهي عند الواحد الأول بسبب ما لهم من منزلة في الاشراق الكليّ ، وعند ابن سينا أن هذه الصفات الطبيعية هي التي تجعل الأنبياء أكمل مهيئة للنوع البشري ، ولسبب هذا الكمال الذي يقول به ابن سينا يكون الأنبياء عنده مفوضين بالرسالة التي يشرعون فيها للناس أحوال دينهم ودنياهم .

وابن سينا يشترط في النبي ثلاثة شروط :

أولاً : صفاء الذهن .

ثانياً : كمال القوة المتخيلة وهي القوة التي تستعيد بها الصور والمعاني ، وتُفرّق وتؤلّف بينهما في عمليات التفكير والابتكار .

(١) انظر للفائدة كتاب : فطرة المعرفة وموقف المتكلمين منها ، فقد ذكر مباحث مهمة في هذا الباب يحسن الوقوف عليها .

ثالثاً : القدرة على التأثير في المادة الخارجية^(١) .

وهذا الشروط الثلاثة لا بدّ منها عند ابن سينا لكي يمكن للنبي اكتساب المعرفة ، التي تقوم هي الأخرى عنده على ثلاثة مصادر .

١ - الحواس التي تنقل صور الأشياء إلى النفس .

٢ - العقل الذي يجرد المحسوسات من العوارض المشخصة ، وينتزع صوراً كلية منها .

٣ - العقل الفعال الذي يفيض على النفس الإنسانية بالمعرفة عندما تبلغ هذه النفس درجة تؤهلها لتقبل هذا الفيض ، والعقل الفعال عند ابن سينا هو العقل الكلي الذي يدبّر هذا الكوكب الذي نعيش فيه . والكواكب السيارة على رأي ابن سينا : أجسام حية تتحرك حركات إرادية ، ولكل كوكب منها عقل يدبره وهذه العقول موجودات روحانية تشارك الإله .

وأما كيفية تلقي النبي للوحي عند ابن سينا فلا يرجع إلى تزويد الله النبي العبادات ولا إلى أحاديث النفس التي هي عنده من قبيل قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها ، ألا فاتقوا الله وأجملوا في الطلبه)) بل إن كيفية تلقي النبي للوحي عند ابن سينا عبارة عن : فيضان العلوم من الله على لوح قلب النبي بواسطة الملك وقوة التخيل التي تتلقى تلك العلوم وتتصورها بصورة الحروف والأشكال المختلفة ، وعندما تجد لوح النفس فارغاً فتتنفّس تلك العبارات والصور فيه فيسمع فيها كلاماً منظوماً ويرى شخصاً بشرياً فذلك هو الوحي لأنه إلقاء الشيء إلى النبي بلا زمان ، وتارة يُعبّر النبي عن ذلك بعبارة العبرية وتارة بعبارة العربية تارة ، فالمصدر واحد والمظهر متعدد . ومثل ذلك سماع كلام الملائكة ورؤيتها ، وكما عبر النبي بعبارة اقترنت بنفس الصور ، فذلك هو آيات الكتاب^(٢) .

(١) المقالة الباطنية (ص ٢٤٧) .

• أخرجه الخاكم (٤/٢) والفضاعي في مسند الشهاب (١١٥١) ، وأخرجه ابن ماجه في سننه بسند صحيح لكن بدون (إن روح القدس)

(١٧٤٣) .

(٢) المقالة الباطنية وحكم الإسلام فيها ص ٢٤٨ وابن سينا بين الدين والفلسفة (ص ١٣٣) .

قال ابن تيمية — رحمه الله تعالى — : " من لم يكن عارفاً بالأنبياء من فلاسفة اليونان والهند وغيرهم ، لم يكن له فيهم كلام يعرف ، كما لم يُعرف لأرسطو واتباعه فيهم كلام يُعرف ، بل غاية من أراد أن يتكلم في ذلك كالفارابي ، وغيره أن يجعلوا ذلك من جنس المنامات المعتادة .. وعلى هذا بنى ابن سينا أمر النبوة أنها من قوى النفس وقوى النفس متفاوتة ، وكل هذا كلام من لا يعرف النبوة بل هو أجنبي عنها " (١) .

(" وأهل الوهم والتخيل هم الذين يقولون : إن الأنبياء أخبروا عن الله وعن اليوم الآخر ، وعن الجنة والنار ، بل وعن الملائكة ، بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه ، لكنهم خاطبوه بما يتخيلون به ، ويتوهمون به أن الله جسم عظيم ، وأن الأبدان تعاد ، وأن لهم نعيماً محسوساً ، وعقاباً محسوساً ، وإن كان الأمر ليس كذلك في نفس الأمر ، لأن من مصلحة الجمهور أن يخاطبوا بما يتوهمون ويتخيلون أن الأمر هكذا وإن كان هذا كذباً فهو كذب لمصلحة الجمهور ، إذا كانت دعوتهم ومصلحتهم لا تمكن إلا بهذا الطريق . وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا الأصل ، كالقانون الذي ذكره في رسالته الأضحوية . وهؤلاء يقولون : الأنبياء قصدوا بهذه الألفاظ ظواهرها ، وقصدوا أن يفهم الجمهور منها هذه الظواهر ، وأن كانت الظواهر في نفس الأمر كذباً وباطلاً ومخالفة للحق ، فقصدوا إفهام الجمهور بالكذب والباطل للمصلحة . ثم أن هؤلاء من يقول : النبي كان يعلم الحق .، ولكن أظهر خلافه للمصلحة ، ومنهم من يقول : ما كان يعلم الحق ، كما يعلمه نظار الفلاسفة وأمثالهم ، وهؤلاء يفضلون الفيلسوف الكامل على النبي ، ويفضلون الولي الكامل الذي له هذا المشهد على النبي ،

كما يفضل ابن عربي الطائي^(١) (خاتم الأولياء) — في زعمه — على الأنبياء ،
وكما يفضل الفارابي ومبشر بن فاتك^(٢) وغيرهما الفيلسوف على النبي .
وأما الذين يقولون : إن النبي كان يعلم ذلك ، فقد يقولون : إن النبي
أفضل من الفيلسوف ، لأنه علم ما علمه الفيلسوف وزيادة ، وأمكنه
أن يخاطب الجمهور بطريقة — يعجز عن مثلها الفيلسوف — .
وابن سينا وأمثاله من هؤلاء . وهذا في الجملة قول المتفلسفة والباطنية ،
كالملاحدة الإسماعيلية ، وأصحاب رسائل (أخوان الصفا) والفارابي
وابن سينا والسهروردي المقتول^(٣) وابن رشد الحفيد^(٤) وملاحدة الصوفية
الخارجين عن طريقة المشايخ المتقدمين من أهل الكتاب والسنة ، كابن عربي وابن
سبعين وابن الطفيل صاحب رسالة (حي بن يقظان) وخلق كثير غير هؤلاء^(٥) .
قلت : وقد سمى الإسماعيليون الأنبياء بالنطقاء ، لأن النطق كما قالوا : قسمان ،
أحدهما ما يتميز به الإنسان عن البهائم وهو النطق عما في الدنيا ، والآخر النطق
عما في الآخرة المتميز به أهل التأييد الذين يتكلمون عما وراء الحجاب .

(١) ابن عربي : محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي (٥٦٠ — ٦٣٨ هـ) من الفاتلين بالوحدة والاتحاد ، أحد الزنادقة المعروفين بظانهم

وغرافاتهم ، انظر ترجمته في الوافي بالوفيات ٤ / ١٧٣ — ١٧٨ ، والبلدية والنهاية ١٣ / ١٥٦ ، وميران الاعتدال ٣ / ١٠٨ ، وغيرها .

وقد جمع نقي الدين الفاسي — رحمه الله تعالى — عقيدته ، وما قيل عنه في رسالة قيمة حققها : علي حسن عبد الحميد .

(٢) المدعو بالأمر ، انشأ سنة (٥٠٠ هـ) أصله من دمشق ، استوطن مصر في أيام الظاهر والمستنصر .

وفي درء التعارض لأن تيمية ، تحقيق محمد رشاد — رحمه الله تعالى — ١ / ١٠ ذكر أنه توفي سنة (٦٠٠ هـ) وهو خطأ مطبعي بلا شك ، فتنه .

(٣) يحيى بن حبش ، فيلسوف منطقي (٥٤٩ — ٥٨٧ هـ) منهم بالإنغلاق والتعطيل ، انظر السمر ٢١ / ٢٠٧ .

(٤) محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (٥٢٠ — ٥٩٥ هـ) فيلسوف ، يُعزى إليه الفضل في شرح وتغريب كتب أرسطو !!

انظر السمر ٢١ / ٣٠٧ .

(٥) درء التعارض ١ / ٩ .

وزعم الإسماعيليون أن جميع الأنبياء لم يأخذوا التأييد ، ولا اتصل بهم الوحي ، إلاّ عن طريق الحدود الروحانية وهي (الجد ، والفتح ، والخيال) فالسابق يوحى إلى التالي ، الذي يوحى بدوره إلى الجد وهو - اسرافيل - ، فيبلغه إلى الفتح وهو - ميكائيل - الذي ابلغه إلى الخيال - جبرائيل - فيوحيه جبرائيل إلى الناطق الحي الذي يكون يمثل في دوره دور السابق .^(١)

(١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص (٩٦)

قلت : إلى جميع أصدقاء ابن سينا في الشرق والغرب أسوق هذا الحوار الذي جرى بين ابن سينا وتلميذه (بهمنيار) الذي سأل شبيهه ذات يوم : لماذا لم تدّع النبوة ، وأنت الطائر الصيّت ، أعلم بجميع العلوم في ههنا ؟ وصعد المؤذن عند الفجر يدعو للصلاة ، فطلب ابن سينا من تلميذه أن يأتى له بقدر من الماء ، فقال بهمنيار : أشرب الماء الآن وما كنت تستيقظ ؟ إن شرب الماء عند اليقظة يضر بالأعصاب والعروق ، فقال ابن سينا : إني أنا الطبيب الوحيد في هذا الجليل فكيف بمنعني من شرب الماء ، فأجاب بهمنيار : إن العرق يسيل على جسمي وإذا عرحت خفي ضرر . فقال ابن سينا : سأشرح لك الآن لماذا لم أدّع النبوة ، فقد توفي النبي محمد (؟) منذ ٤٠٠ سنة ولم يسزل أثره في النفوس ولا يزال الناس إلى اليوم مع شدة البرد يدعون باسمه في الصلاة من فوق المآذن ، أما أنا فعلى الرغم من أني على قيد الحياة وأنت أقرب الناس إليّ لم تأمر وتعطيني الماء الذي طلبته منك ! .

انظر : كتاب المهرجان الذهبي لابن سينا / سهيل أنور .

وفي معجم المؤلفين ١ / ٤٤٩ ترجمة لتلميذه الهروسي .

المبحث الخامس

﴿ عقيدته في البعث والمعاد وأمور الآخرة ﴾

ابن سينا ينكر المعاد الجسماني بحجة أن العقل يعجز عن تصوّره ". والمتفلسفة الدهرية ، كالفارابي وابن سينا يزعمون أن العقل يُحيل معاد الأبدان ، فيجب تقديم العقلية على دلالة السمع ، ويخاطبون من اقرّ بالمعاد من المعتزلة وموافقيهم في نفي ذلك ، بما تخاطب به المعتزلة المثبتة للصفات ، ويقولون لهم : قولنا في نصوص المعاد كقولكم في نصوص الصفات " (١) .

قال أبو حامد الغزالي — رحمه الله تعالى — : " وقد اتفقوا — أي الإسماعيلية — عن آخرهم على إنكار القيامة وأن هذا النظام المشاهد في الدنيا ، من تعاقب الليل والنهار ، وحصول الإنسان من نطفة ، والنطفة من إنسان ، وتولّد النبات ، وأولوا القيامة ، وقالوا : إنها رمز إلى خروج الإمام وقيام قائم الزمان ، وهو السابع الناسخ للشرع المميّز للأمر ، وأما المعاد فأنكروا ما ورد به الأنبياء ، ولم يثبتوا الحشر والنشر للأجساد ، ولا الجنة والنار ، ولكن قالوا : معنى المعاد عود كل شيء إلى أصله ، وزعموا أن نفوس المعاندين لمذهب الإسماعيلية ، تبقى أبد الدهر في النار ، على معنى أنها تبقى في العالم الجسماني تتناسخها الأبدان ، فلا تزال تتعرّض فيها للألم والأسقام ، فلا تفارق جسداً إلا ويتلقّاها آخر " (٢) .

والقيامة عندهم معناها عودة الروح إلى مبدئها ، وهي النفس الكلية ، يعني إبطال العقاب والثواب في الجنة والنار ، لأن العقاب — في رأيهم — هو الآلام والأوجاع التي تراها الروح في تقلّبها في الأجسام والأقمصاة المختلفة ، وأما الثواب فهو اللذات التي يأخذها المؤمن من مراتب العلوم .

وقد أعتبر ((جعفر بن منصور) اليمن ، عقيدة حشر الأجساد مضحكة ، لأن الحياة

(١) درء التعارض ٥ / ٢٥٠ .

(٢) فضاء الحاشية للغزالي (٤٤)

السرمدية ليست سوى عودة الروح إلى مبدئها . ولهذا قال شاعرهم (عامر البصري)^(١) .

ولي صورة محصورة القدر ضبطها .. ظهوري لعيني عند لبسي برنتي
فابدوا بها صورة بعد صورة .. وآخر ما يتلوه أول نشأتني
قيامتي الصغرى بخلعي وإنما .. قيامتي الكبرى بتتميم دورتي^(٢)

وقد اعتبر بعض الإسماعيلية عذاب القبر انه: تأثر النفس بسبب ما يظهر عليها من الصور الهيولانية المخالفة للطبائع ، وذلك على سبيل التعبير ، كما اعتبروا النشر ظهور النفوس في عالم بعد عالم وفق مكتسباتها . وأولوا على هذا الأساس القيامة ، بأنه قيام النفوس الجزئية المفارقة للمدرجات الحسية ، والآلات الجسدانية ، وقيام الشرائع والأديان ، بظهور صاحب الزمان ، وقيام الدور ، بروز النفس الكلية لمحاسبة النفوس الجزئية ، وقيام القيامة بكامل الإخلاص والنجاة ، واستراحة النفوس بأجمعها من الإرادة والاصدار^(٣).

وجنة النعيم — عندهم — هي عالم العلم ، ودرجاتها هي مراتب العلوم ، واما اللذات ، فهي جولات النفوس في فضاء معارجها وابتهاجها عند الحصول في مشاهدتها ومواقعها^(٤) .

(١) لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

والآيات المذكورة شبيهة بنائية ابن الفارض المعروفة بنظم السلوك ، وهي في الحقيقة نظم الشكوك ، وأولها :

سقتني حُما الحب راحة مُقلني وكأني عُجا من الحُسن جلتِ

(٢) أربع رسائل إسماعيلية / عرف نامر ص (٩٣) .

(٣) الحركات الباطنية وموقف الإسلام منها ص (١١٥) .

(٤) المصدر السابق ص (١١٦) .

وَيَقَرَّرُ ابْنُ سِينَا مَا تَقْدُمُ بِاعْتِقَادِهِ أَنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَأَحَادِيثَ الرَّسُولِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — الْمُنْبَتَّةُ لِأُمُورِ الْآخِرَةِ مَا هِيَ إِلَّا رَمُوزٌ وَإِشَارَاتٌ قَالَ بِهَا النَّبِيُّ لِأَنَّهُ يَخَاطَبُ قَوْمًا لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَدْرِكُوا هَذِهِ الْحَقَائِقَ ، فَقَرَّرَ لَهُمْ أَمْرَ الْمَعَادِ عَلَى وَجْهِ يَتَصَوَّرُونَ كَيْفِيَّتَهُ ، وَتَسْكُنُ إِلَيْهِ نَفُوسُهُمْ بِمَا يَفْهَمُونَهُ وَيَتَصَوَّرُونَهُ ^(١).

(١) ابن سينا بين الدين والفلسفة ص (١٦٥)

قلت : وَبُرِدَ عَلَى ابْنِ سِينَا هُنَا بِسْؤَالٍ : كَيْفَ تَصْنَعُ بِنُصُوصِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ الَّتِي نَقَضَ عَلَيْنَا وَتَصَوَّرَ لَنَا حَالِ أَهْلِ النَّعِيمِ فِي الْجَنَّةِ ،

وَحَالِ أَهْلِ الْجَحِيمِ فِي النَّارِ ؟ !

كَيْفَ تَصْنَعُ بِالْآيَاتِ الَّتِي تَذَكِّرُ نَدَمَ الْكُفَّارِ عَلَى حَيَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَفَوْضَمَ : ((رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا . تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ

مَا كَانُوا إِلَّا نَارًا يَمْجِدُونَ)) (القصص ٦٣) .

هَلْ هَذِهِ رَمُوزٌ وَإِشَارَاتٌ ؟ !! .

المبحث السادس

﴿ عقيدته في أمور وقضايا مختلفة ﴾

- أ - عقيدته في الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين -
 ب - عقيدته في النفس والروح .
 ج - عقيدته في الجن والشياطين .

أ - عقيدته في الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - :
 يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - :

" ... وكذلك ابن سينا ، وغيره : يذكر من التنقص بالصحابة ما ورثه من أبيه وشيعته القرامطة ، حتى تجدهم إذا ذكروا في آخر الفلسفة حاجة النوع الإنساني إلى الإمامة عرضوا بقول الرافضة الضلال ، لكن أولئك يصرحون بالسبب بأكثر مما يصرح به هؤلاء " (١) .

ب - عقيدته في النفس والروح : (٢)

تأثر ابن سينا بكتاب (النفس) لأرسطو كما تأثر بمذهبه الإسماعيلي وبالنزعة الأفلاطونية الروحانية فقال في تعريف النفس : إنها جوهر قائم بذاته ، وهي جوهر وصورة في آن واحد .

وابن سينا ينطلق من النصيحة السقراطية الشهيرة : (اعرف نفسك) إذ المعرفة الصحيحة تبدأ بمعرفة النفس ومنها تبدأ الحكمة ، وبما أن كل معرفة تبدأ بمعرفة النفس فمعرفة طريقته إلى معرفة الله ومن ثم سائر الموجودات .

(١) فتاوى ابن تيمية ٤ / ١٠٣ .

(٢) انصح بقراءة كتاب : الروح لامين القيم - رحمه الله تعالى - نفق الذكور بسام العموش .

فقد خدم الكتاب خدمة مباركة بسرت الانتفاع به ، فجزاه الله خيراً على ما عمل وكب .

يقول ابن سينا : " لقد اتفق الحكماء والأولياء على أن من عرف نفسه عرف ربه .. ومن عجز عن معرفة نفسه فأخلق به أن يعجز عن معرفة خالقه " .

وابن سينا يقسم النفس إلى ثلاثة أقسام :

١ — النفس النباتية : وهي كمال أول لجسم طبيعي آلي ، له الحياة بالقوة من جهة ما ينمو ويتغذى ويتكاثر .

٢ — النفس الحيوانية : وهي كمال أول لجسم طبيعي آلي له الحياة بالقوة من جهة ما يحس ويتحرك بالإرادة .

٣ — النفس الإنسانية : وهي كمال أول لجسم طبيعي آلي ، له الحياة بالقوة من جهة ما يدرك المعقولات ويفعل الأفاعيل الكائنة بالتروى والاختيار .

وابن سينا أثبت وجود النفس بعدة براهين وهي :

١ — البرهان الطبيعي . ٢ — البرهان السيكولوجي .

٣ — برهان الاستمرار . ٤ — برهان وحدة النفس .

٥ — برهان الرجل الطائر . (١)

وابن سينا يقول بخلود الروح ، لأنها مستقلة عن الجسد ، لذا فهو يقول : " لا تموت بموت البدن ولا تقبل الفساد أصلاً "

ولابن سينا براهين على روحانية النفس ، أهمها :

١ — النفس جوهر يدرك المعقولات . ٢ — إدراك النفس لذاتها وإدراكها للكماليات .

٣ — اختلاف طبيعة القوة العقلية عن طبيعة القوة الجسمية . (٢)

٥ السيكولوجيا : كلمة لاتينية تعني : دراسة السلوك والعمليات العقلية / وابن سينا أثبت وجود النفس من خلال براهينه الذاتية /، ولا يهمنا هنا هل أطلق عبارة (سيكولوجيا) بنفسه أم أطلقها الباحثون في مؤلفاته من بعده !

(١) ابن سينا محمد الجرجاني (٣٨٠ — ٤٢٨) ، ورسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها / محمد الفندي .

(٢) أثرت عدم الإطلاعة هنا رغبة في الاختصار ، ويمكن العودة للمراجع المذكورة لمن أراد التوسع ،

ولعل قصيدة ابن سينا في النفس خير دليل لعرض آرائه وأفكاره ، يقول :

هبطت إليك من المحلّ الأرفع
محبوبة عن كل مقلة عارف
وصلت على كره إليك وربما
أنفت وما ألقت فلما واصلت
وأظنها نسيت عهداً بالحمى
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت
تبكي وقد نسيت عهداً بالحمى
حتى إذا قرب المسير إلى الحمى
وغدت تغرد فوق نروة شاهق
وتعود عالمة بكل خفية
فهبوطها إذ كان ضربية لازم
فلأي شيء أهبطت من شاهق
إن كان أهبطها الإله لحكمة
إذ عاقها الشّرك الكثيف فصدها
فكأنها برق تألّق بالحمى

ورقء ذات تعزّز وتمنّع
وهي التي سفرت فلم تتبرقع
كرهت فراقك وهي ذات تفجّع
ألقت مجاورة الخراب البلقع
ومنازلاً بفراقها لم تقنع
من ميم مركزها بذات الأجرع
بين المعالم والطلول الخضع
بمدامع تهمي ولما تقلّع
ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
والعلم يرفع كل من لم يرفع
في العالمين فخرقها لم يرقع
لتكون سامعة لما لم تسمع
سام إلى قعر الحضيض الأوضّع
طويت عن الفطن اللبّيب الأروع
ققص عن الأوج الفسيح الأربع
ثم انطوى فكأنه لم يلمع

(١) وفات الأعيان ١٥٩/٢ ، وعيون الأنباء ٤٥٥ . والوافي بالوفيات ٤١٠/١٢ ، وأعيان الشيعة ٢٨٥/٢٦ . والقصيدة لها شروح كثيرة ما بين مطول ومختصر ، فقد شرحها : (داود بن عمر الأنطاكي) صاحب التذكرة ، المتوفى سنة (١٠٠٨ هـ) ، وشرحها (علي بن محمد البسطامي) المتوفى سنة (٨٧٥ هـ) ، وشرحها (عبدالرؤف المناوي) المتوفى سنة (١٠٣١ هـ) . وقد وفقت على ثمانية شروح ، وبعض التعليقات المختصرة التي هي بمثابة معاني للكلمات والفاظها ، أنظر كشف الظنون ١٣٤٢ / ٢ .

وبلاحظ اختلاف في ترتيب الأبيات تبعاً لاختلاف الروايات — فيما يبدو لي — كما هو واضح عند رواية ابن حلكان وإن أي أصيعة .

ج - عقيدته في الجن والشياطين :

يميل ابن سينا إلى قول الطوائف التي تتكر وجود الجن والشياطين ، لكن إنكاره الناتج عن ذلك الميل له صبغة فلسفية ذات طابع باطني إسماعيلي . وقد نتج عن تأثره بنظرية الفيض القول بأنه لا يخلو كائن من أن يكون خيراً محضاً أو يغلب خيره على شره ، لذا أنكر وجود الجن والشياطين باعتبار أنها مخلوقات شريرة لا وظيفة لها إلا الوسوسة والإفساد . وقد ذهب إلى أن كل الآيات والأحاديث التي تثبت الجن والشياطين ما هي إلا رموز وإشارات^(١) .

(١) ابن سينا بين الدين والفلسفة ص (٢٠١) ، وقد أكد ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في كتاب الثبوت (ص ٢١٠) على هذا المعنى ، فراجع إن شئت .

قلت : أشار الرازي في تفسيره ٨ / ٢٢١ إلى حقيقة إنكار ابن سينا للجن فقال :

((اختلف الناس قديماً وحديثاً في ثبوت الجن ونفيه ، فالتفيل الظاهر عن أكثر الفلاسفة إنكاره وذلك لأن أبا علي بن سينا قال في رسالته في

(حدود الأضياء) : الجن حيوان هوائي متشكّل بأشكال مختلفة ، ثم قال : وهذا شرح للاسم ، فقله وهذا شرح للاسم يدل على أن هذا

الخذ شرح للمراد من هذا اللفظ وليس هذه الحقيقة وجود في الخارج))

قلت : وابن سينا ينكر الجن والشياطين تبعاً لأشياحه من الفلاسفة والزنادقة وكثير من القدرية (المعتزلة) .

المبحث السابع

﴿ هل تاب ابن سينا ورجع عن عقيدته الضالة ﴾ ؟

زعم ابن خلكان (٦٨١هـ) في " وفيات الأعيان " " أن ابن سينا إغتسل وتاب وتصدق بما معه على الفقراء ، وردّ المظالم على من عرفه وأعتق مماليكه ، وجعل يختم في كل ثلاثة أيام ختمه ، ثم مات ... " (١) .
وهذه العبارة عليها عدة مآخذ : -

أولاً : لم يثبت بالتواتر الصحيح المستفيض أن ابن سينا رجع عن معتقده ، ولو صحّ ذلك لذاع خبره ، وانتشر أمره ، وصدّقه أعداؤه قبل أخلاّته ، وما أكثر العلماء الذين عاشوا على عقائد باطلة ربحاً من الزمن حتّى إذا أراد الله لهم الهداية ، شغ نور الحق في قلوبهم ، وأضاء لبصائرهم ، فكتبوا توبتهم أو أعلنوها وأشهدوا عليها ، وعلى ذلك أمثلة منها : -

١- علي بن إسماعيل الأشعري (٣٢٤هـ)

مكث أربعين سنة على مذهب المعتزلة ، وفي أحد الأيام خرج إلى الجامع فصعد المنبر وقال : معاشر الناس إني إنما تغيّبت عنكم في هذه المدة لأنّي نظرت فتكافأت عندي الأدلة ، ولم يترجّح عندي حق على باطل ، ولا باطل على حق ، فاسهتديت الله تبارك وتعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه ، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا ، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به .

وقال رحمه الله بمذهب أهل السنة والجماعة ومات على ذلك (٢) .

(١) وفيات الأعيان ٢ / ١٦٠

(٢) السمر ١٥ / ٨٦ ، ومعتقد أبي الحسن الأشعري (١٤) .

٢ - محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥ هـ)

من أعمدة المذهب الأشعري ، له فلسفة وتصوّف وشطحات عديدة . مال في آخر عمره إلى طريقة أهل الحديث ، ومات وصحيح البخاري على صدره ، وأثبت ذلك كثير من العلماء والمؤرخين ^(١).

٣ - عبد الملك بن عبدالله بن يوسف الجويني (٤٣٨ هـ)

متكلم - اشعري ، فيلسوف .

قال : " يا أصحابنا لا تشغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به "

وقال عند موته : " لقد خضت البحر الخضم ، وخلّيت أهل الإسلام وعلومهم ، ودخلت في الذي نهوني عنه ، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني ، وها أنا أموت على عقيدة أُمي (أو ، قال) : على عقيدة عجائز نيسابور " .

وهذا دليل على توبته رحمه الله وعفى عنه ^(٢).

والأمثلة على هذا كثيرة ، وهي معروفة مشتهرة ، فالحمد لله على الإسلام والسنة .

ثانياً : لو صحّت توبة ابن سينا ، فلماذا لم يتبرأ من عقيدته ، أو يحرق مؤلفاته أو ينكر ما فيها. ولو ثبت هذا لتناقل العلماء خبره ، وجزموا بعدم صحة ما نسب إليه ، وأعلنوا ذلك في نقداتهم لكتابات وأفكاره . فقد ترجم لابن سينا عشرات الأعلام كابن تيمية وابن القيم والذهبي وابن كثير ^(٣) وابن الأثير وابن حجر والصفدي والشهرستاني والبيهقي ، وغيرهم ، وكلهم لم يؤكدوا خبر توبته ولم يشيروا إلى ثبوتها لا من قريب أو بعيد ^(٤).

(١) درء التعارض ١ / ١٦٢ ، وشرح الطحاوية ص (٢٦٩) .

(٢) شرح الطحاوية ص (٢٧١) .

(٣) ألح ابن كثير - رحمه الله تعالى - إلى ضعف خبر توبة ابن سينا بقوله : (ويُقال إنه تاب عند الموت فأنشأه) انظر البداية ٤٦/١٢ .

(٤) وقد روى ابن العماد عن الياقيني قوله : ((طالعت كتابه الشفا ، وما أحدره بغلب الغاء فأفا لا شتماله على فلسفة لا ينشرح لها قلب متدين ، والله أعلم بخاتمته وصحة توبته)) شذرات الذهب ٣ / ٢٣٧ .

ثالثاً : ابن خَلَّان هو عمدة أكثر المترجمين لابن سينا ، وعليه يُعَوَّل أكثرهم ، لكن بالتتبع والاستقراء يتبيّن عدم صحة كثير من رواياته وأخباره . فهو يخطئ ويخلط أحياناً ، ولا يتحرّى الحق والعدل .

قال : " ابن كثير " (٧٧٤هـ) رحمه الله تعالى في ترجمة ابن الراوندي (٢٩٨ هـ) الزنديق : " وقد ذكره ابن خلكان في (الوفيات) وقلّس عليه ، ولم يخرج به بشيء ، ولا كأن الكلب أكل له عجينة ، على عادته في العلماء والشعراء ، فالشعراء يُطيل تراجمهم ، والعلماء يذكر لهم ترجمة يسيرة ، والزنادقة يترك ذكر زندقتهم " !! (١) .

قلت : هذا ما ظهر لي من رأي بعد فكر ونظر ، والله سبحانه وتعالى يقبل توبة التائبين ، ويغفر خطأ المذنبين ، سبحانه وتعالى إله الخلق أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

حرّر في

غرة رمضان ١٤٢١هـ

﴿ قاموس موجز لمعاني ﴾

﴿ أشهر المصطلحات التي يرددها ابن سينا في مؤلفاته ﴾

﴿ وبيان معناها باختصار ﴾

— الأعراض : جمع (عرض) وهو : الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل يقوم به كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله .

— الجسم : جوهر قابل للأبعاد الثلاثة ، أو : الجسم المركب المؤلف من الجواهر وإطلاقه على الله لا يجوز^(١) .

— البداء : ظهور الرأي بعد أن لم يكن .

— التركيب : جعل الأشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها اسم الواحد ، وليس لبعض أجزائه نسبة إلى بعض تقدماً وتأخراً . ولا يجوز إطلاقه على الله تعالى^(٢) .

— الغوث : القطب عند الصوفية — حين يلتجئ إليه بزعمهم .

— السكر : من اصطلاحات الصوفية — ويقصدون بها خشية الله بزعمهم^(٣) .

— الاصطلام : من اصطلاحات الصوفية ، ويعنون به : ألوه الغالب على القلب .

— العقل الأول : من اطلاقات الفلاسفة على الله سبحانه وتعالى . وهذا من الإلحاد في أسماء الله تعالى .

(١) فائدة : أول من أطلق " إن الله جسم " : هشام بن الحكم الرافضي . مجموع الفتاوى ٣ / ١٠٦ ، ومنهاج السنة النبوية ٢ / ١٣٤ — ١٣٥ والصواعق المرسلة ١ / ١١٢ — ١٧٣ .

(٢) انظر " الصواعق المرسلة " : (١١٤ / ١) وفيه فوائد مهمة .

(٣) انظر فائدة حول هذا اللفظ في " الأجرية المرضية " : (٣٣٥ — ٣٨٠) .

— العقل الفعال في السماء : من اطلاقات الفلاسفة على الملائكة . وهذا من تخرصاتهم .

— العلة الأولى : من اطلاقات الفلاسفة على الله تعالى ، وهذا من الإلحاد في أسماء الله تعالى .

— العلة الفاعلة : من اطلاقات الفلاسفة على الله تعالى ، وهذا من الإلحاد في أسماء الله تعالى .

— القوة الخفية : من اطلاقات الفلاسفة على الملائكة . وهذا من تخرصاتهم .

— القوة المدبرة : من اطلاقات الفلاسفة على الملائكة . وهذا من تخرصاتهم .

— القوة العليا : من اطلاقات الفلاسفة على الملائكة ، وهذا من تخرصاتهم .

— السر الجامع : من اطلاقات الفلاسفة على الرسول صلى الله عليه وسلم . وهذا من افتراءاتهم .

— معدن الأسرار : من اطلاقات الفلاسفة على الرسول صلى الله عليه وسلم . وهذا من افتراءاتهم .

— الفيض : من نظريات أفلاطون ، وهي تفسر علاقة الخالق بمخلوقاته ، وتتم العلاقة إما بخلق الكون من العدم ، أو بالتطور ، أو بفيض من الله ، دون أن يتأثر الجوهر الإلهي بما يفيض عنه — كما يزعمون — وكلما بعد الفيض عن مصدره قلَّ عنصره الإلهي .^(١)

(١) سبق الحديث عنها بشي، من التفصيل (ص ٥٧-٦١) من هذا الكتاب .

— القديم : ليس من أسماء الله تعالى . والقديم : المتقدم على غيره . ويحل محله الأول والآخر .

— واجب الوجود : الذي يكون وجوده من ذاته ، ولا يحتاج إلى شيء أصلاً ، وفي إطلاقه على الله نظر عند بعض العلماء ^(١) .

— الحد : من إطلاق الفلاسفة ، يقصدون به أن الله سبحانه وتعالى — محبوس مخاط .

— الجوهر : لا يصح إطلاقه على الله ، والجوهر ماهية تنحصر في : الهولي ، الصورة ، الجسم ، النفس ، العقل .

— الجهة : لا يصح إطلاقها على الله إجمالاً . والجهة عند المتكلمين لها معنيان : الأول : ما وراء العالم ..

والثاني : الشيء الموجود غير الله . ويقال لمن قال : ((إن الله في جهة)) أتريد بذلك أن الله فوق العالم ، أو — تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات ؟ فإن أردت الأول فهو حق ، وإن أردت الثاني فهو باطل ^(٢) .

— الإبداع : إيجاد الشيء من لا شيء .

— الأدراك : إحاطة الشيء بكماله .

— الإرادة : ميل يعقب اعتقاد النفع .

(١) انظر تفصيل ذلك في : مهاج السنة النبوية " (٢ / ١٣١ — ١٣٢) .

(٢) الأحموية المرضية لتقريب التدمرية (١٣٩) .

— الأزل : استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي ، كما أن الأبد استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب المستقبل .

— الإضافة : حالة نسبية متكررة ، بحيث لا تعقل إحداها إلا مع الأخرى كالأبوة والبنوة .

— الاضراب: الاعراض عن الشيء بعد الإقبال عليه نحو : ضربت زيداً بل عمراً .

— الاضمار : ترك الشيء مع بقاء أثره .

— الحادث: ما يكون مسبقاً بالعدم ، ويسمى حدوثاً زمانياً ، وقد يُعبر عن الحدث بالحاجة إلى الغير ، ويسمى حدوثاً ذاتياً .

— الحدس : سرعة انتقال الذهن من المبادئ إلى المطالب ، ويقابله الفكر ، وهي أدنى مراتب الكشف .

— الحكم : إسناد أمر إلى آخر إيجاباً أو سلباً .

— العلم: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع .

— العلة : ما يتوقف عليه وجود الشيء ، ويكون خارجاً مؤثراً فيه .

— القضية : قول يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه ، أو كاذب فيه .

— الكلمات الإلهية : ما تعين من الحقيقة الجوهرية ، وصار موجوداً .

— المتقابلان : اللذان لا يجتمعان في شيء واحد من جهة واحدة .

— النسبة : إيقاع التعلق بين الشئيين .

— الهيولى : لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة ، واصطلاحاً : جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال محل للصورتين الجسمية والنوعية .

— اللازم : ما يمتنع انفكاكه عن الشيء .

— العكس: التلازم في الانتفاء بمعنى كلما لم يصدق الحد لم يصدق المحدود ، وقيل العكس : عدم الحكم لعدم العلة .

— العقل الهيولاني : الاستعداد المحض لإدراك المعقولات .

— الطرد : ما يجوب الحكم لوجود العلة ، وهو التلازم في الثبوت ^(١).

((تنبيه)) :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله تعالى — : " إن الأئمة الكبار كانوا يمنعون من إطلاق الألفاظ المبتدعة المجملة ، لما فيها من لبس الحق بالباطل ، مع ما توقعه من الاشتباه والاختلاف والفتنة ، بخلاف الألفاظ المأثورة ، والألفاظ التي بينت معانيها ، فإن ما كان مأثوراً : حصلت به الألفة ، وما كان معروفاً حصلت به المعرفة " ..

درء التعارض : (٢٧١/١)

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(١) للاستزادة : أنظر : التعريفات للحرجاني — كشاف اصطلاحات الفنون/ للذهبي — المعجم الفلسفي / رحيل صلبا — معجم المناهي اللفظية : بكر أبو زيد — المعجم الوسيط بإشراف مجمع اللغة العربية بدمشق

﴿ فهرس المصادر والمراجع ﴾

- الآثار الباقية : محمد بن أحمد البيروني ، ط ليبسك / ١٩٢٣ م .
- ابن سينا : محمد كامل الحر / دار الكتب العلمية ، ١٤١١ هـ .
- ابن سينا : يوحنا قمير ، دار الكتب ، ١٤١٠ هـ .
- ابن سينا بين الدين والفلسفة : حمود غرابة ، المكتبة العصرية ، ١٩٧٢ هـ .
- اجتماع الجيوش الإسلامية : ابن القيم الجوزية ، ط دار الفكر ، ١٤١٢ هـ .
- الأجوبة المرضية لتقريب التدمرية : بلال الجزائري /، ط دار هجر ١٤١٧ هـ .
- إخبار العلماء بأخبار الحكماء : القفطي ، ط دار العلم ، ١٤٠١ هـ .
- أخوان الصفا : مصطفى غالب ، ط دار الفكر ، ١٩٨٥ م .
- أربع رسائل إسماعيلية : عارف تامر ، ط الحياة ١٩٧٨ م .
- أساس التقديس : محمد بن عمر الرازي ، ط كردستان ، ١٣٢٨ هـ .
- الإسماعيلية : إحسان إلهي ظهير ، ط ترجمان السنة ١٤٠٥ هـ .
- الإسماعيلية المعاصرة : محمد الجوير ، ط ١٤١٤ هـ .
- الإشارات والتنبيهات : ابن سينا ، تحقيق : سليمان دنيا ، ط المعارف ١٩٥٧ م .
- الإشارات إلى أسماء الرسائل المودعة في بطون المجلدات — مشهور سلمان ، دار الصميعي ١٤١٤ هـ .
- أصول الفلسفة الإشراقية : محمد أبو ريان ، الانجلو ، القاهرة ١٩٥٩ م .
- الأعلام : الزركلي ، ط دار العلم للملايين ، ١٩٨٥ م .
- أعيان الشيعة : محسن أمين ، ط النجف ، ١٩٧٠ م .
- إغاثة اللفهان : ابن القيم الجوزية ، ط الحلبي ، ١٩٨٠ م .

﴿تابع فهرس المصادر والمراجع﴾

- الإصابة : ابن حجر ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٥ م .
- الأفحام لافتدة الباطنية الطغام : يحيى بن حمزة العلوي ، (تحقيق) فيصل عون ، المعارف ١٩٨٥ م .
- الإيمان : ابن تيمية ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧ م .
- البداية والنهاية : ابن كثير ، دار الريان ، ١٤٠٧ هـ .
- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان : السكسكي ، ط دار التراث ١٤٠٢ هـ .
- البيان المغرب : ابن عذاري ، ليدن ١٩٥١ م .
- تاريخ الإسلام السياسي : حسن إبراهيم حسن ، أحياء التراث ١٩٨٠ م
- تاريخ التراجم في تراجم الحنيفية : ابن قطلوبغا ، بغداد ١٩٦٢ م .
- تاريخ الحكماء : الزوزني ، ط ليبنرج ، ١٩٠٣ م .
- تاريخ الدعوة الإسماعيلية : مصطفى غالب ، دار الأنلس — بيروت ١٩٧٩ م .
- تاريخ الفكر العربي : عمر فروخ ، دار العلم للملايين — ١٣٨٢ هـ .
- تاريخ الفلسفة الإسلامية — ماجد فخري (ترجمة) ، دار المتحدة ، ١٩٧٩ م
- تاريخ الفلسفة في الإسلام : دي بور (ترجمة) ط ١٩٨٢ م
- تفسير الرازي : ط دار الكتاب العربي ، ط ١٩٩٠ م .
- تهافت الفلاسفة : ابو ماجد الغزالي ، دار الكتب العلمية ، ط ١٩٨٥ م .
- الجامع لأحكام القرآن : القرطبي ، ط ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٠ م
- جهود الحنيفية في إبطال عقائد القبورية : السلفي ، دار الصميعة ، ١٤١٦ هـ
- الجواب الكافي : ابن القيم الجوزية ، دار الحياة ، ١٩٨٥ م .

﴿تابع فهرس المصادر والمراجع﴾

- الجواهر المضية : عبدالقادر القرشي ، ط حيدر آباد ١٣٣٢هـ .
- الحاكم بأمر الله : محمد عبدالله عنان ، دار الهلال ، ١٩٤٦م .
- الحركات الباطنية : محمد الخطيب ، مكتبة الأقصى ، ١٤٠٦هـ .
- الحقائق الخفية : محمد الأعظمي ، الهيئة المصرية ، ١٩٧٠م .
- دائرة المعارف الإسلامية : (ترجمة) ط وزارة المعارف ، القاهرة ١٩٧٠م
- درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية ، تحقيق محمد رشاد سالم ، ط جامعة الإمام ١٤١٠هـ
- دراسات في التصوف : إحسان إلهي ظهير ، ط ترجمان السنة (لاهور) ١٤٠٢هـ .
- راحة العقل : أحمد الكرمانى ، (تحقيق) : مصطفى غالب ، بيروت ١٩٦٧م
- رسائل أخوان الصفا : مجموعة مؤلفين ، ط ، دار الحياة ، ١٩٧٠م .
- الرسالة الأضحوية : ابن سينا ، تحقيق سليمان دنيا ، ط دار الفكر ١٣٦٨هـ
- الروح : ابن القيم ، ط دار ابن تيمية ، تحقيق (بسام العموشي) ١٤٠٦هـ .
- سنن ابن ماجه : تحقيق عبدالباقي ، ط الحلبي ، ١٣٧٢هـ .
- سنن الترمذي : ط ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ .
- سير أعلام النبلاء : الذهبي ، ط الرسالة ، ١٤ هـ .
- الشامل : الجويني ، ط المعارف ، ١٩٦٩م .
- شذرات الذهب : ابن العماد ، ط القاهرة ، ١٣٥٠هـ
- شرح الطحاوية : الحفني ، تحقيق عميره ، ١٤١٥هـ .
- شرح الفقه الأكبر : لأبي حنيفة ، ط حيدر آباد ، ١٣٩٣هـ .

﴿تابع فهرس المصادر والمراجع﴾

- الشريعة : الآجري ، ط دار الفكر ١٩٨٥ م .
- الشفا : ابن سينا : الحسين بن عبدالله ، ط الهيئة المصرية ، ١٩٧٥ م .
- الشفا : القاضي عياض ، ط دار القلم ، ١٩٨٢ م .
- الشقائق النعمانية : طاش كبري زاده ، القاهرة ، ١٣١٠ هـ .
- صحيح البخاري : ط دار الكتب العلمية ، ١٤١٥ هـ .
- صفحات من صبر العلماء : عبدالفتاح أبو غدة ، ط المطبوعات الإسلامية ، ١٤١٥ هـ .
- الصفدية : ابن تيمية ، ط دار ابن تيمية ، ١٤١٢ هـ .
- طبقات الشافعية : عبدالوهاب السيكي ، (تحقيق) محمود الطناحي ، ط الحبي ١٣٨٤ هـ .
- طبقات الفقهاء الحنفية : طاش كبري زاده ، الموصل ١٩٦١ م .
- الطرق الحكمية : ابن القيم الجوزية ، ١٤١٤ هـ .
- العقائد الباطنية : صابر طعيمة ، المكتبة الثقافية ، ١٤١١ هـ .
- عيون الأنباء : ابن أبي اصيبعة ، ط دار الفكر ، ١٣٧٦ هـ .
- عيون التواريخ : محمد بن شاكر الكتبي ، ط دار الفكر ، ١٩٨٠ م .
- فتح الباري : ابن حجر ، ط دار الكتب العلمية ، ١٩٨٠ م .
- الفرق بين الفرق : عبدالقاهر البغدادي ، ط دار الفكر ، ١٩٧٠ م .
- فضائح الباطنية : أبو حامد الغزالي ، ط دار الجيل ، ١٤١٥ هـ .
- فطرية المعرفة : أحمد سعد حمدان ، دار طيبة ، ط ١٤١٠ هـ .
- الفهرست : ابن النديم ، ط الشعب ، ١٩٧٠ هـ .

﴿تابع فهرس المصادر والمراجع﴾

- القصيدة النونية : ابن القيم الجوزية ، ط ١٤١٥هـ .
- القواعد الكلية للأسماء والصفات : إبراهيم البريكاني ، دار الهجرة ، ١٤١٥هـ .
- الكامل في التاريخ : ابن الأثير
- كتب حذر منها العلماء : مشهور سلمان ، الصمعي ، ١٤١٥هـ .
- كشف الظنون : حاجي خليفة .
- كنز الوالد : إبراهيم الحامدي ، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، ط ١٩٧١م
- لسان الميزان : ابن حجر ، دار الفكر ١٩٨٥م .
- الماتريديه : السلفي الأفغاني ، دار الصديق ، ١٤١٩هـ . .
- المجددون في الإسلام : عبدالمتعال الصعيدي ، ط المعارف ، ١٩٧٠هـ .
- مجمع الأمثال : الميدان ، دار الجيل ، ١٩٩٠م .
- مجموع فتاوي ابن تيمية : دار عالم الكتب ، الرياض
- محمود بن سبكتكين الغرنوي ، وموقفه من عقيدة أهل السنة والجماعة ، أحمد بن مسفر بن معجب العتيبي ، ط ١٤٢٠هـ .
- المختصر في أخبار البشر : إسماعيل أبو الفدا ، استانبول ، ١٢٨٦هـ .
- مداواة الرجل للمرأة : محمد علي البار ، دار المنارة ، ١٤١٦هـ .
- مذاهب الإسلاميين : عبدالرحمن بدوي ، دار العلم ، ١٩٧١م .
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان : اليافعي ، حيدر آباد ١٩٥٠م .
- مسند أحمد : ط الحلبي ، ١٣١٣هـ .
- مسند الشهاب : ط دار الريان ، ١٩٨٥م .

﴿تابع فهرس المصادر والمراجع﴾

- المطالب العالية : محمد بن عمر الرازي ، ط دار النجف ، ١٤٠٢هـ .
- معجم الأبيات الشهيرة : حسن دندشي ، ط دار جروس برس ، ١٩٨٦م .
- معجم لآلي الشعر : إميل يعقوب ، ط دار المجموعة ١٩٩٨م .
- مؤلفات ابن سينا : جورج قنواطي ، القاهرة ١٩٥٠م .
- النجاة : ابن سينا ، دار الآفاق ، بيروت ١٩٨٥م .
- هدية العارفين : إسماعيل باشا البغدادي ، ط دار إحياء التراث العربي ١٩٨٥م .
- الوجود الإلهي : نخبة من العلماء (ط دار الأصالة ، تونس ١٤١٠هـ .
- الينابيع : إسحاق السجستاني (تحقيق) مصطفى غالب ، بيروت ١٩٦٥م .

﴿ آثار المؤلف ﴾

(١) - نقض افتراءات المؤرخين والنقاد حول شخصية حسان بن ثابت

— رضى الله عنه —

(دراسة وتحقيق لتهمة الجبن التي ألصقت بحسان بن ثابت، وإثبات بطلانها)

(٢) محمود بن سبكتكين الغزنوي ، وموقفه من عقيدة أهل السنة والجماعة .

(٣) أبيات وقصائد تخالف العقيدة الإسلامية .

(٤) أضواء على عقيدة المكارمة .

(٥) حقيقة معتقد ابن سينا .

﴿ فهرس الموضوعات ﴾

رقم الصفحة	الموضوع
٦	* المقدمة
٧	ابن سينا يزعم أنه علم من أعلام الإسلام
٧	قول ابن القيم في منظومته النونية في بيان حال ابن سينا
٨	معنى أبيات النونية
٨	ابن سينا يرمي إلى نفي الصفات الثبوتية لله تعالى
٨	وسائل ابن سينا في بث سمومه
٩	لقب ابن سينا بـ (الشيخ) و (الرئيس) ، ومعناها
١٠	ذم ابن تيمية للفلاسفة
١٠	تلخيص ابن القيم لعقيدة ابن سينا
١٠	تلخيص ابن كثير لعقيدة ابن سينا
١٠	تلخيص الذهبي لعقيدة ابن سينا
١١	موجة التغريب أضفت على ابن سينا هالة من الإعجاب
١٢	** (المبحث الأول) الحالة الدينية والسياسية في عصر ابن سينا
١٢	أ - الحالة الدينية :
١٢	أولاً : الإسماعيليون ، ونبذة عن عقائدهم
١٥	ثانياً : الأشاعرة ، ونبذة عن عقائدهم .
١٦	ثالثاً : الجهمية ، ونبذة عن عقائدهم .
١٦	رابعاً : الصوفية ، ونبذة عن عقائدهم .
١٧	خامساً : المعتزلة، ونبذة عن عقائدهم .
١٨	سادساً : الفلاسفة ، ونبذة عن عقائدهم .

﴿ تابع فهرس الموضوعات ﴾

رقم الصفحة	الموضوع
١٩	— ابن سينا من أتباع الحاكم الذي كان بمصر
٢٠	— ابن سينا خاض في مسائل عقدية بسبب جرأته على الدين الحنيف
٢١	— المحاكاة والتقليد من اسباب ضلال ابن سينا
٢٢	ب — الحالة السياسية :
٢٢	خليفةا بني العباس اللذين عاصرهما ابن سينا
٢٢	لمحة عن حكم بني العباس
٢٣	السامانيون ، واشهر أمرائهم
٢٥	** المبحث الثاني : حياته ومؤلفاته
٢٥	أ — حياته
٢٥	أولاً : نسبه:
٢٥	— فائدة في ضبط لفظ (سينا) وغلط البعض فيه
٢٦	ثانياً : نشأته :
٢٦	— كيف كون ابن سينا نفسه
٢٦	— شيوخه
٢٧	— ثلاثة اسباب يسرت لابن سينا وغيره تحصيل العلم
٢٧	— همة ابن سينا وسعيه لتحقيق مآربه يسراً له إدراك العلوم .
٢٨	— موقف ابن سينا من أرسطو
٢٨	— اثر تقرب ابن سينا من الحكام على عقيدته ونحلته
٣٠	ثالثاً : رحلاته
٣١	رابعاً : أخلاقه

﴿ تابع فهرس الموضوعات ﴾

رقم الصفحة	الموضوع
٣٢	خامساً : وفاته
٣٣	أين مات ابن سينا (رد على غلط شهير)
٣٤	ب — مؤلفاته :
٣٥	المصادر التي استقى ابن سينا منها ثقافته :
٣٤	أولاً : ثقافة والده الإسماعيلي
٣٥	ثانياً : نظريات أرسطو ومقالاته ومقولاته
٣٦	ثالثاً : فلسفة الفارابي
٣٦	رابعاً : المصطلحات الكلامية الشائعة .
٣٨	— عدد مؤلفات ابن سينا ونقسيهما على الفنون باختصار
٣٩	— إشارة إلى أمر مهم يتعلق بثقافة ابن سينا
٤١	— رسائل ابن سينا في الصحف والمجلات
٤٢	** المبحث الثالث :
٣٨	— نقد عقيدة ابن سينا في أنواع التوحيد الثلاثة :
٤٢	أ — نقد عقيدته في توحيد الربوبية
٥١	ب — نقد عقيدته في توحيد الألوهية
٦١	ج — نقد عقيدته في توحيد الأسماء والصفات
٧٠	** المبحث الرابع :
٧٤	— عقيدة ابن سينا في النبوة والوحي والرسالة
٧٩	** المبحث الخامس :
٧٩	— عقيدة ابن سينا في البعث والمعاد وأمور الآخرة

﴿ تابع فهرس الموضوعات ﴾

رقم الصفحة	الموضوع
٨٢	** المبحث السادس :
٨٢	أ - عقيدته في الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين -
٨٢	ب - عقيدته في النفس والروح -
٨٥	ج - عقيدته في الجن والشياطين
٨٦	** المبحث السابع :
٨٦	هل تاب ابن سينا ورجع عن عقيدته الضالة ؟
٨٩	- قاموس موجز لمعاني أشهر المصطلحات التي يرددها ابن سينا في مصنفاته
٩٤	فهرس المصادر والمراجع
١٠١	فهرس الموضوعات

— تم بحمد الله —